الدكتورة
زينب السيد فكي السيد محمد نور

الزُّهد والمصطلحات التي تؤول مآله



الزهد والمصطلحات التي تؤول مآله
د. زينب السيد فكي السيد محمد نور

الزهد والمصطلحات التي تؤول مآله



الطبعة الأولى

٢٠١٦

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٤٥٨٦/٩/ ٢٠١٥مركز الايداع ٨١١,١٧

الزهد والمصطلحات التي تؤول مآله

الدكتورة : زينب السيد فكي السيد محمد نور

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ ٦ ٠٠٩٦٢ تلفاكس: ٤٦٥٩٨٩٢ ٦ ٠٠٩٦٢
- موبايل: ٧٩٥٧٤٧٤٦٠ ٠٠٩٦٢ موبايل: ٧٩٦٢٩٥٤٥٧ ٠٠٩٦٢
- هاتف السودان – الخرطوم ٩١٨٠٦٤٩٨٤ ٠٠٢٤٩
- ص.ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: dar_ jenan@yahoo.com

daraljenanbook@gmail.com

الزهد و المصطلحات التي تؤول مآله

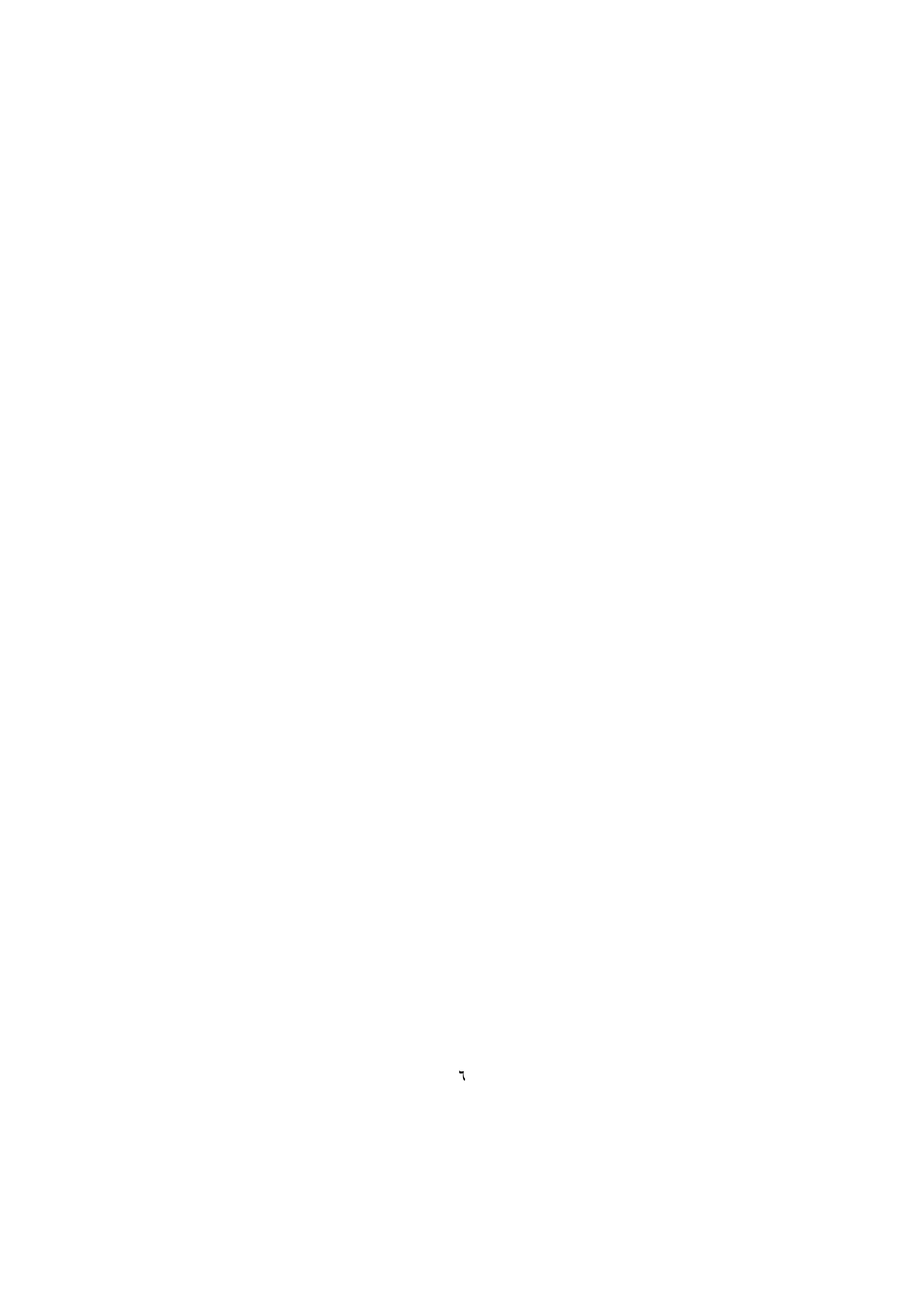
الدكتورة

زينب السيد فكي السيد محمد نور



مقدمة:

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذى ملكوت كل شيء بيده، حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعلمين، وخاتما للنّبيين، وحرزا للأميّين، وإماما للمتّقين بأوضح دليل، وأفصح تنزيل، وأفسح سبيل، وأنفس تبيان، وأبدع برهان. اللهمّ آته الوسيلة، وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأوّلون والأخرون صلّى الله عليه وعلى آله الطّيّبين وصاحبته المجاهدين وأزواجه أمّهات المؤمنين وسلّم.



الفصل الأول

مفهوم الزهد في الإسلام

لمبحث الأول

مفهوم الزهد بين اللغة والاصطلاح

المطلب الأول

مفهوم الزهد لغويا

الزاي والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء، وزهد كمنع وسمع وكرم زهدا وزهاده هي في الدنيا[1]، واقتصرها أئمة اللغة على الدنيا دون الآخرة[2]. والزُّهدُ ضد الرغبة والحرص على الدنيا[3]. والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، وفلان يتزهد أي يتعبد، والمزهد القليل المال. أما قولنا زهد في الدنيا أي ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقابه، وتزهد: صار زاهدا وتعبد، والزاهد العابد يجمع على زهد وزهاد[4]، إذن معنى الزهد الغالب في جميع المعاجم القديمة والحديثة لم يخرج عن معنى

---

[1]/ القاموس المحيط، تأليف مجد الدين الفيروز أبادي، المجلد الأول، صـ٢٩٨، دار الحديث القاهرة. ولسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي، صـ٢٠٣، بيروت دار الكتب العلمية

[2]/ هذا القول نقله الأئمة عن الخليل، انظر تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفي١٢٠٥م، اعتنى به الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، المجلد الرابع، الطبعة الأولي، صـ٢٣٣، بيروت دار الكتب العلمية.

[3]/ جميع المراجع السابقة.

[4]/ أساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولي، صـ١٩٧، بيروت دار صادر ١٣٩٩. ١٩٧٩م. والمعجم الوسيط، الذي أشرف على طباعته حسن على عطية ومحمد شوقي أمين،الطبعة الثانية، المجلد الأول، صـ٤٠٤. ٤٠٥.

الرغبة والإعراض عن الشيء، إلا أن المعاجم الحديثة قد أضافت أن هذا الإعراض ناتج عن الاحتقار للدنيا ومتطلبتها[٥].

المطلب الثاني

مفهوم الزهد اصطلاحا

تعددت التعاريف الشاملة للزهد وتباينت تبعاً لتعدد قائليها، وتباين مشاربهم، فمنهم من قال أن الزهد هو قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء[٦]، وقد أكثر الناس من الكلام في الزهد، وكل أشار إلى ذوقه، ونطق عن حاله وشاهده، فإن غالب عبارات القوم في الزهد نابعة عن أذواقهم وأحوالهم، ولكنها لا تخرج عن تعريف المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه للزهد في قوله: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة أن تكون بما في يد الله أوثق » وسنحاول أن نتتبع أكثر ما قيل بهذا الصدد: قال الإمام الغزالي[٧]: «الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه»[٨]. قال ابن جلاء: « الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها»[٩]، وقيل: «الزهد عزوف النفس عن الدنيا

---

[٥]/ معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، تأليف الدكتور يوسف محمد رضا، الطبعة الأولى، صـ٦٢٧، بيروت دار الكتب العلمية.

[٦]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية،صـ٤٩٥، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

[٧]/ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته.

[٨]/ إحياء علوم الدين، تأليف أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، ج٣، صـ٢٢٢، ط٢ ٢٠٠٤م، دار صادر.

[٩]/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، صـ١١، ج٢، المكتبة التجارية مكة المكرمة.

بدون تكلّف»[١٠]. وقيل: «الزهد سلوا القلب عن الأسباب، ونفض الأيدي من الأملاك»[١١].

وقال يحيى بن معاذ الرازي[١٢]: «الزهد ثلاثة أحرف الزاي والهاء والدال؛ أما الزاي فترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا... » وقال: «الزهد أن تكون أحرص على ترك الدنيا منك على طلبها»[١٣]. وقال الإمام الجنيد[١٤] رحمه الله تعالى «الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب»[١٥]. وقال صاحب المنازل: «الزهد هو إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية... وهو للعامة قربة وللمريد ضرورة وللخاصة خشية»[١٦]

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى[١٧]: «الزهد فراغ القلب من الدنيا، لا فراغ اليد»[١٨].

وقال سفيان الثوري[١٩]: «الزاهد هو الذي يحقق الزهد بفعله، والمتزهد من كان زهده بلسانه»[٢٠].

---

[١٠]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسن، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، صـ٤٩٥.

[١١]/ المرجع السابق.

[١٢]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، صـ٤٩٥.

[١٣]/ تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت وراجعه د. أحمد ناجي القبسي و د. محمد مصطفى حلمي، ط١، صـ٣٨٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠م.

[١٤]/ الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم صوفي من العلماء بالدين، مولده ونشأته ووفاته ببغداد سنة(٢٩٧هـ - ٩١٠م)، وقال عنه ابن الأثير هو إمام الدنيا في زمانه.

[١٥]/ إحياء علوم الدين، تأليف أبي حامد الغزالي، ج٣، صـ٢٢٢، ط٢، ٢٠٠٤م.

[١٦]/ مدا رج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١- ٧٥١هـ، صـ١١، ج٢.

[١٧]/ إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق، زاهد مشهور من الأغنياء، تفقه ورحل إلى جميع الأمصار الإسلامية ليأخذ عن علمائها، توفي سنة (١٦١هـ - ٧٧٨م) في حصن من بلاد الروم يدعي سوفن.

[١٨]/ تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، صـ٣٨٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠م.

[١٩]/ سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م)، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى.

[٢٠]/ تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، صـ٣٨٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠م.

وسئل محمد بن الفضل عن الزهد، فقال: «النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعززا وتظرفا ، فمن استحسن من الدنيا شيئا فقد نبه عن قدرها»[٢١]

كل هذه الأقوال مستقاة من المدلول اللغوي الذي توحي به كلمة الزهد أي من القلة والإعراض، وذلك لأن الدنيا وما فيها وإن عظم وكثر في الأعين القاصرة هو في الحقيقة حقير زهيد بالنسبة لما عند الله، وما أعده لعباده في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن عرف هذا زهد في الدنيا كما فعل السلف الصالح الذين لم يحرصوا على الدنيا أو يتكالبوا عليها.

وقد عرفه ابن القيم[٢٢] رحمه الله تعريفا يعطي مفهوما شاملا لكلمة الزهد في قوله: «الزهد ترك ما يضر في الآخرة... »[٢٣]، وأقرّ هذا التعريف شيخ الإسلام ابن تيمية[٢٤] رحمه الله وزاد عليه قليلا، فقال: «هو ترك ما قد يضر في الآخرة»[٢٥]، فابن القيم قد حصر

---

[٢١]/ الزهد الكبير، ألفه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ). حققه د. تقي الدين الندوي، ط١، بدار القلم بالكويت، ج١، صـ٢٥.

[٢٢]/ ابن قيم الجوزية (٦٩١ -٧٥١هـ، ١٢٩٢ - ١٣٥٠م)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، من أعلام الإصلاح الديني في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق وتتلمذ على يد ابن تيمية، وسُجن ابن قيم الجوزية وعُذِّب عدة مرات، وأطلق من سجنه بقلعة دمشق بعد وفاة ابن تيمية. ومن أبرز كتب ابن قيّم الجوزية (أعلام الموقّعين؛ زاد المعاد؛ مدارج السالكين؛ تلبيس إبليس؛ الوابل الصيّب من الكلم الطيّب؛ التبيان في أقسام القرآن). وقد أدى ابن القيم دورًا بارزًا في الفكر الإسلامي الحديث.

[٢٣]/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، صـ٤١، ج٢.

[٢٤]/ ابن تيمِيَّة، تقي الدين (٦٦١ -٧٢٨هـ، ١٢٦٣- ١٣٢٨م)، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحصيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي. ولد بحرَّان بتركيا، ورحل إلى دمشق مع أسرته هربًا من غزو التتار. وتلقى العلم على والده وعلى مشايخ دمشق وظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فكان قوي الذاكرة سريع الحفظ. نهل من منهج النبوة، حتى آلت إليه الإمامة في العلم والعمل سنة ٧٢٠هـ.مات بدمشق، وخرجت البلدة على بكرة أبيها تشيع جنازته.

[٢٥]/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، صـ٤١، ج٢.

الزهد في كل ما يضر في الآخرة، أي ما يؤثم عليه الإنسان والإنسان لا يؤثم إلا على ما ورد فيه منع صريح وتحريم قاطع، أما ابن تيمية فقد أضاف للتعريف السابق ((قد)) وهذا الحرف الذي لا يؤبه له عادة غيّر التعريف تغيرا كليا لأنه أدخل في ما يجب تركه عند الزهاد جميع الشبهات، وكل ما يظن ظنا لا يقينا أن فيه حساب أو عقاب.

من كل ما سبق نخلص إلى اختلاف ابن القيم وابن تيمية اختلافا جليا حول معنى الزهد؛ فابن القيم حصر الزهد في ترك المحرمات فقط وهذا ممّا لا فضل فيه لأنه واجب على كل مسلم. أما ابن تيمية فأضاف إلى ترك المحرمات ترك الشبهات أيضا وهذا باب واسع يشق إلا على خيار الخيار، وهذا الباب من ما يندب للمسلم لا لما يجب عليه. وقد نحى هذا النحو الإمام ابن المسيب في قوله: سألت يوسف بن أسباط، عن الزهد، ما هو؟ قال: « أن تزهد، فيما أحل الله، فأما ما حرم الله فإن ارتكبته عذبك الله؛ يعني: إن تركه فرض»[26].

وأضاف الزاهد هناد رحمه الله[27] «أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها....، وليس كل نوع من الترك يسمى زهدا، لأن الإنسان قد يترك الشيء مروءة وسخاء وحسن خلق، ولا يسمى زهداً، وإنما الزهد يكون في شيء مرغوب فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه ولا مطلوبا في نفسه، لم يسم زاهدا، كمن ترك التراب لا يسمى زاهدا»[28]

[26]/ الزهد الكبير للبيهقي، ج١، صـ٢٥.

[27]/ هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي: ولد سنة (١٥٢ هـ - ٧٦٩ م) محدث، زاهد، من حفاظ الحديث، كان شيخ الكوفة في عصره، ويقال له: راهب الكوفة ما تزوج ولا تسرى، له "كتاب الزهد"، توفي سنة (٢٤٣هـ - ٨٥٧ م).

[28]/ الزهد للعالم هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٣١، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، سنة (١٤٠٦. ١٩٨٦).

وذكر الشاطبي رحمه الله[29] أن الزهد في الشرع مخصوص بما طلب تركه، حسبما يظهر في الشريعة، فالمباح في نفسه خارج عن ذلك وإذا أطلق بعض المعبرين لفظ الزهد على ترك الحلال، فعلى جهة المجاز لا الحقيقة، واستدل على ذلك بأن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يترك الطيبات جملة إذا وجدها[30].

فالزهد تفريغ القلب من حب الدنيا، وامتلاؤه بحبّ الله ومعرفته، وعلى قدر تخلص القلب من تعلقه بزخارف الدنيا يزداد لله تعالى حبّا، وله توجها ومراقبة ومعرفة، ولهذا اعتبر العارفون الزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى، وشرطا لنيل حبّه ورضاه، وليس غاية مقصودة لذاتها.

---

[29]/ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (۰۰۰ - ۷۹۰ هـ = ۰۰۰ - ۱۳۸۸ م)، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه (الموافقات في أصول الفقه - ط) و (المجالس)، و(الإفادات والإنشادات – خ)، و (الاتفاق في علم الاشتقاق) و (أصول النحو) و (الاعتصام - ط)، و (شرح الألفية) سماه (المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية) قال التنبكتي: لم يؤلف عليها - أي على الخلاصة المعروفة بالألفية - مثله، بحثا وتحقيقا، فيما أعلم.

[30]/ أنظر الموفقات في أصول الشريعة، للإمام الفقيه إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي المتوفي سنة ۷۹۰ هـ، تحقيق د. محمد الإسكندراني و عدنان درويش، دار الكتاب بيروت، طبع سنة ۱٤۲۹ هـ ـ ۲۰۰۸م، ج۱، ص ۷۱ ـ ۷۲.

المبحث الثاني
مفهوم الزهد
من خلال آيات القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم مقتفين أثر الزهد متتبعين الآيات الدالة عليه لتبين لنا امتلاء القرآن الكريم بعدد لا يستهان به من الآيات الدالة على حب الآخرة والسعي لها، وعدم الاغترار بالدنيا والتمسك بزينتها الزائلة، والإعداد للآخرة بالعبادة الحقة القائمة على الموازنة الدقيقة بين الجانب المادي والروحي في الإنسان وقد سلك القرآن سبلا متعددة في توجيهه إلى الزهد.

المطلب الأول

صور الحياة الدنيا

بزخرفها وزينتها، وبهجتها وخدعها، وتقلبها وتلونها وحذر منها كي لا نغتر بها فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[31]، وقال تعالى ذاما للدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور﴾[32]، ووصفها في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾[33].

وحثاً على عدم الانشغال بمتعها فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[34]، لأن العمل الصالح خير من ذلك كله، والدليل قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

[31]/ سورة لقمان، آية ٣٣.

[32]/ سورة الحديد، آية ٢٠.

[33]/ سورة الحديد، آية ٢٠.

[34]/ سورة المنافقون، آية ٩.

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[٣٥]، والحياة الدنيا دار عمل وامتحان واختبار، وفي ذلك قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٣٦]، ووضح تفاهة الدنيا مقارنة بالآخرة، في قوله تعالى: ﴿ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾[٣٧].

المطلب الثاني

صور الآخرة جنةً وناراً

وصور نعيم الجنة الذي يفوق ما يتصوره الإنسان ورغب في هذا النعيم فقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٣٨]، ووصفها في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[٣٩]، ووصف جنة المتقين في قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[٤٠].

وصور النار في صور شتى، ليخوف بها المعرضين عن ذكر الله جل جلاله المتولين عن هديه، وجعلها عقوبة لهم، فهي عظيمة مخيفة تتأجج بلهيبها، لواحة للبشر، لا تبقي ولا تذر تطلب المزيد من العصاة الغافلين، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[٤١]، وهي تقول: ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[٤٢]؛ ولله تعالى لونان متضادان من

---

[٣٥]/ سورة الكهف، آية ٤٦.

[٣٦]/ سورة هود، آية ٧.

[٣٧]/ سورة الرعد، آية ٢٦.

[٣٨]/ سورة ق، آية ٣١.

[٣٩]/ سورة محمد، آية ١٥.

[٤٠]/ سورة النبأ، (٣٢. ٣٤).

[٤١]/ سورة الأعراف، آية ١٧٩.

[٤٢]/ سورة ق، آية ٣٠.

الصفات: فهو ذو رحمة ومغفرة، يقبل التوبة عن عباده، ويمنح الجنة والنعيم للمؤمنين، وهو كذلك جبار، متكبر، سريع الحساب وشديد العقاب، فالحذر الحذر، والبدار البدار.

المطلب الثالث

دعا القرآن الكريم إلى العبادة والتبتل

كقيام الليل وصيام النهار، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[43]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[44]، وامتدح القائمين العابدين فقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[45]، ورفع القرآن من شأن العابدين والذاكرين ليحفز المسلمين ويغريهم بالعبادة الحسنة، والذكر المتصل، وحسن التوكل، وتلاوة القرآن والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[46]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾[47]، وقال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[48].

ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الذكر والاستغفار، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[49]، وقال أيضا: ﴿فَاصْبِرْ

---

[43]/ سورة المزمل، (١-٣).

[44]/ سورة الإسراء الآية ٧٩.

[45]/ سورة الذاريات من (١٧-١٨).

[46]/ سورة الأحزاب الآية ٣٥.

[47]/ سورة آل عمران، الآية ١٩١.

[48]/ سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

[49]/ سورة الكهف، الآية ٢٨.

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[50]، والذكر طمأنينة للنفس وعلاج، لقوله تعالى: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[51]، وقوله أيضا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[52]، وفي حسن التوكل يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[53]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[54]، وقوله أيضا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[55].

من كل ما سبق نجد أن القرآن الكريم هو المؤسس الأول لمدرسة الزهد في الدنيا طلبا لما عند الله من الفضل، وعندما أقر هذه الحقيقة لا أنكر وجود بعض من صور وأحوال الزهد في العصر الجاهلي وفي الديانة المسيحية، ولكن هذا الوجود مخالف للزهد الإسلامي من حيث المبدأ والغاية، وهذا الاختلاف سنقف عنده في الفصول القادمة بإذن الله، ولكننا في هذا المقام نريد أن نؤكد أن الدين الإسلامي بمصادره الثلاثة (القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع) هو الذي أسس مدرسة الزهد وقعد قواعدها.

---

[50]/ سورة طه، الآية ١٣٠.

[51]/سورة الرعد، الآية ٢٨.

[52]/ سورة النساء، آية ١١٠.

[53]/ سورة التغابن، آية ١٣.

[54]/ سورة الفرقان، آية ٥٨.

[55]/ سورة الطلاق، آية ٣.

المبحث الثالث
مفهوم الزهد من خلال السنة النبوية الشريفة

عندما نتحدث عن مفهوم الزهد من خلال السنة المحمدية، لابد لنا من تقسيم السنة إلى قسمين كبيرين:

المطلب الأول

الأحاديث النبوية الدالة على ذم الدنيا وهوانها، المرغبة عنها

لما كانت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحي رباني، وتشريع سماوي كما قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٥٦]، لذلك أخذنا أقواله صلى الله عليه وسلم كمصدر إسلامي للزهد، وهذه الأحاديث كثيرة جدا ومتنوعة، فمنها ما أكد على هوان الدنيا عند الله جل شأنه وتقدست أسماؤه، نحو قول سهل بن سعد: « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: أترون هذه الشاة هينة على صاحبها؟ قالوا: نعم قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[٥٧]، ومنها ما دل على هوان الدنيا عند

---

[٥٦]/ سورة النجم، من (٤.٣).

[٥٧]/ المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م)، ٣٤١/٤.

المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، نحو قول أبي هريرة: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٥٨]. ومنها قول سفيان الثوري: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عز وجل»[٥٩]. وأيضا قول أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[٦٠]. وقول عوف بن الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٦١].

وفي ذات السياق يأتي قول زيد بن أرقم: « كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لن يقدروا على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحدا فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت مني فلن ينفلت مني من بعدك»[٦٢]،

٥٨/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ٢٣٨/٣.

٥٩/ المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٣٣/٤.

٦٠/ المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤٨/١.

٦١/ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ - ٩١١ هـ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ٦٧/٢.

٦٢/ المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م)، ٣٣٣/٦.

وقوله صلى الله عليه وسلم: « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»[٦٣].

ومن هذه الأحاديث ما خوف فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الدنيا وزينتها، كقوله صلى الله عليه وسلم: « إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»[٦٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طَلاَّع رَصَّاد حَصَّاد»[٦٥]. ومنها ما حث فيها على الزهد بجعله سبباً من أسباب حب الله لعبده، في قوله صلى الله عليه وسلم: « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[٦٦]، ووضع المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه الزهد في المرتبة الثانية لقياس الأفضلية عند المسلمين في قوله صلى الله عليه وسلم للسائل أي الناس أفضل: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ... ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه»[٦٧].

ومن الأحاديث ما كان مقارنة بين الجنة والنار، ودعوة لنبذ الدنيا طلبا للآخرة ونعيمها، نحو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن المولى عز وجل: « أعددت

---

[٦٣]/ المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ ه، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٦٩/١.

[٦٤]/ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب، ٥٣٢/٢.

[٦٥]/ الجامع الكبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي نسبة إلى أسيوط،٧٦٥/١.

[٦٦]/ المعجم الكبير، المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن احمد الطبراني ٢٦٠ ه - ٣٦٠ ه، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي،الطبعة الثانية، ١٣٦/٨.

[٦٧]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب،٢ /٣٢٠.

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٦٨]، وقوله عن المنادي الذي ينادي أهل الجنة: « أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»[٦٩].

وبعد أن يرغب في الجنة يدعوا إلى الأخذ بأسبابها والعبادة الحقة والتوكل على الله نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروحوا بطانا»[٧٠]، ثم يذكرنا بقرب الموت فيقول: «أكثروا من ذكر هادم الذات»[٧١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: « ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»[٧٢].

المطلب الثاني: الأفعال النبوية الدالة على ذم الدنيا وهوانها، المرغبة عنها:

مما لا شك فيه أن الزهد ناتج عن المعرفة الكاملة للدنيا وقيمتها والمفاضلة بينها وبين الآخرة ونعيمها، والنبي صلى الله عليه وسلم من أعرف البشر بالدنيا وحسابها والآخرة ونعيمها، لذلك كانت جميع أفعاله متسقة مع أقواله في رفض الدنيا برمتها والزهد فيها،

---

[٦٨]/ السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البندري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان جميع الحقوق محفوظة الدار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٣٣٠/١.

[٦٩]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ٢٠٩/٣.

[٧٠]/ سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ – ٢٧٩، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، ٤/٤

[٧١]/ مسند البزار، البَزَّارُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ، وُلِدَ: سَنَةَ نيف عَشْرَةَ وَمائَتَيْن. ومَاتَ: سَنَةَ اثْنَتَيْن وَتِسْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. قام بفهرسته علي بن نايف الشحود، ج٢، ص٣٢٧.

[٧٢]/ المعجم الأوسط، رواه الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن أحمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين . القاهرة ١٤١٥، ج٢، ص ١٧٧.

وقناعته بالكفاف بل أقل من الكفاف، حيث عاش عيشة الفقراء مدة حياته حتى مات ودرعه مرهونة عند يهودي[٧٣]، رغم أنه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، ويتمتع بالطيبات متى ما تيسرت من غير سرف ولا مخيلة، ليوضح لأمته حقيقة الزهد الإسلامي الحق. وسنعرض هنا صورا مشرفة من كتب السيرة تتحدث عن مدى خشونة معيشة النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بُر ثلاث ليال تباعا حتى قبض»[٧٤]، وقالت أيضا: «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا، إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم»[٧٥]، وقالت لابن أختها عروة بن الزبير رحمه الله: « ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نارا، فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله عليه وسلم من ألبانهم فسقيناها»[٧٦]، وقالت أيضا: «لقد مات رسول الله صلي الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[٧٧]

---

[٧٣]/ وهذا مما ورد في كافة كتب السير.

[٧٤]/ شعب الإيمان، لـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول،ج٢، ص١٨٦.

[٧٥]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ج٤، ص١٠٣.

[٧٦]/ السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤ هـ، مجلس دائرة ال معارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ج٦، ص١٦٩.

[٧٧]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ج٤، ص١٠٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ما أخرجكما من بيوتكم الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا فقاموا معه. فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته امرأته قالت: مرحبا وأهلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق بر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه وأخذ المدية، فقال له رسول إياك والحلوب، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا قال الرسول لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[٧٨].

وكان صلى الله عليه وسلم يكتفي من القوت بما يقيم أوده ولم يكن يعيب طعاما قط إن استطابه أكله وإلا تركه[٧٩]، وكان يذهب أبعد من ذلك فيشكر البسيط ويمدحه كقوله صلى الله عليه وسلم عن الخل: « نعم الأُدم الخل»[٨٠]، وعن السيدة عائشة أن رسول الله كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول: « نكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر

---

[٧٨]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ج٤، ص٢٢٨.

[٧٩]/ السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤ هـ، مجلس دائرة ال معارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ج١٠، ص٦٢.

[٨٠]/ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب، ج٤، ص١٠٤.

هذا»[٨١]، وكان الحصير يؤثر في جسده الكريم كل ما نام عليه، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: « كانت وسادة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتكئ عليها من أدم حشوها ليف»[٨٢]

ويكفينا وعظا أن نري ما اكتفى به النبي صلى الله عليه وسلم في مسكنه من حجرات متواضعات من اللبن والطين وسعف النخل، وذكر هذا المعنى عطاء الخراساني فقال: « أدركت حجر أزواج رسول الله من جريد النخل، وعلى أبوابها المسوح من شعر أسود قال فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمر بإدخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد قال عطاء: فسمعت ابن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر»[٨٣].

إذن فالمصطفى صلوات ربي وسلامه عليه هو أول من أرسى قواعد الزهد واستنه وبينه ووطأه للناس وبدأ بأبنائه وآل بيته، ألم يكل ابنته فاطمة الزهراء ـ قرة عينه ـ إلى الله وأوصاها بالتسبيح والتحميد ولم يعطها خادما مع ما قد شكت إليه من الجهد والنصب[٨٤] ثم حض أصحابه وعامة أمته على الزهد.

---

[٨١]/المرجع السابق، ح٦، ص٦٢.

[٨٢]/ أحاديث أم المؤمنين عائشة. أدوار من حياتها، العلامة السيد مرتضى العسكري، الناشر: التوحيد للنشر، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ج٣، ص١١٦.

[٨٣]/ أخلاق النبي ﷺ في القران والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، صـ٥١٧.

[٨٤]/ الزهد للعالم، هناد بن السرى المتوفي سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٣١، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

المبحث الرابع
مفهوم الزهد من أقوال وأفعال الصحابة والأنبياء

ستتحدث في هذا المبحث عن أقوال وأفعال الصحابة لأنهم أفضل القرون؛ بشهادة أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد، .... »[٨٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما أصحابي كالنجوم، فبأيهم اقتديتم اهتديتم»[٨٦].

عند تناولنا لأقوال الصحابة في مفهوم الزهد، لابد أن نذكر أشهرهم وأدومهم على البقاء بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر بن الخطاب: «الزهادة راحة للقلب والجسد»[٨٧]، وقال أيضا في خطبته بمصر: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا أما أنتم فأرغب الناس فيها»[٨٨]، وقالوا لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه، يا أبا الحسن صف لنا الدنيا قال: «أطيل أم أقصر قالوا بل أقصر قال حلالها حساب وحرامها النار»[٨٩]. وسأله آخر فقال له: «صف لنا الدنيا قال وما أصف

٨٥/ الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،ج٤، ص٥٤٩.

٨٦/ جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنئوط، مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى ج٣، ص٥٥٦.

٨٧/ الزهد وصفة الزاهدين، للإمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٢٦.

٨٨/ المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م)،ج ٦، ص٣٥٤.

٨٩/غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، ج٥، ص٤٤٩.

لك من دار من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن من حلالها الحساب ومن حرامها النار»[٩٠].

كتب علي بن أبي طالب إلى سلمان الفارسي: «أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لمن لمسها يقتل بسمها فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام»[٩١]

قال ابن عباس: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أيا رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها»[٩٢].

وسئل الحسن البصري عن الدنيا فقال «أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع»[٩٣]، وقال أيضا: «والله ما أحد من الناس بسط له الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه وما أمسك الله عن عبد الدنيا فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه»[٩٤] وقال ابن مسعود: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له»[٩٥].

---

[٩٠]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٦٤.

[٩١]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، صـ٦٥.

[٩٢]/ تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، ج ٢، ص ١٢٤.

[٩٣]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٦٤.

[٩٤]/ الزهد وصفة الزاهدين، للإمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٢٩.

[٩٥]/ الزهد وصفة الزاهدين، للإمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٢٩.

كان سفيان الثوري يقول: «إنما سميت الدنيا لأنها دنية وإنما سمي المال لأنه يميل بأهله»[٩٦]، وقال جابر بن عون الأسدي: «أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك أن قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ومن شاء أعطى ومن شاء منع إن الدنيا دار غرور ومنزل باطل وزينة تتقلب تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريها وتثري فقيرها ميالة لاعبة بأهلها يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به واجعلوه لكم قائدا فإنه ناسخ لما كان قبله ولن ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس»[٩٧].

[٩٦]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٧٤.

[٩٧]/ الزهد وصفة الزاهدين، للأمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٤٠.

المطلب الثاني

وصف الدنيا لدى

الأنبياء والصالحين

بعد أن فرغنا من أقوال الصحابة سنتعرض لوصف الدنيا عند الأنبياء والصالحين: قال إسحاق بن إسماعيل قال عيسى بن مريم عليه السلام: «لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وإن صاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة»[98].

وقال أيضا: «إنه رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها: كم تزوجت؟ قالت لا أحصيهم. قال كلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت بل كلهم قتلت. فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين ألا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر»[99]، ويروى عن الحواريين أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: «يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن الله عصي فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها»[100].

قال شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام: «ما سكنت الدنيا في قلب عبد إلا وأليط قلبه منها بثلاث شغل لا ينفك عناؤه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا يدرك

---

[98]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٧٢.

[99]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المنوفي سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٨١، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

[100]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٨١.

منتهاه الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذه بعنقه»[١٠١]، وقال عيسى بن مريم: «كما لا يستقيم النار والماء في إناء كذلك لا يستقيم حب الآخرة والدنيا في قلب المؤمن»[١٠٢].

مر سليمان بن داود في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن يساره بعابد من عباد بني إسرائيل فقال يا بن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما، فسمع سليمان كلمته فقال: « لتسبيحه في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فما أعطي لابن داود يذهب والتسبيحة تبقى»[١٠٣]، وقال لقمان لابنه: «يا بني إنك استدبرت الدنيا منذ يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب منك إلى دار تباعد عنها»[١٠٤]، وقال له: «يا بني إن الدنيا بحر عميق يغرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما أراك بناج»[١٠٥].

---

[١٠١]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٦٦، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦..

[١٠٢]/ الزهد وصفة الزاهدين، للأمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٤٠.

[١٠٣]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، ص٧٣.

[١٠٤]/ ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، صـ٨٨.

[١٠٥]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٦١، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

الفصل الثاني
نشأة الزهد
المبحث الأول
ميلاد الزهد
المطلب الأول
ميلاد الزهد الفعلي

عندما نتحدث عن نشأة الزهد كأسلوب معيشي وأفعال دالة على الزهد في الدنيا لابد أن نتحدث مطولا عن القرآن والسنة بشقيها القولي والفعلي وزهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأخلاق الصحابة وكيف أنهم زهدوا في كل شيء؛ وهذا باب طويل جدا وسبق لنا ذكره في الفصل السابق، لذلك سنكتفي بالحديث عن نشأة الزهد اللفظية لا الفعلية، والخلاف في هذا الباب كبير.

فالزهد من حيث عدم الرغبة في الدنيا لأنها دنيئة مقارنة بالآخرة وإيمانا بالبعث والجزاء وحرصا على جنة عرضها السموات والأرض قد بدأ مع بداية الرسالة المحمدية، والمسلمين الأوائل أمثال أصحاب الصُّفَّة أمثال أبو هريرة، وقد نما الزهد وتطور تطورا طبيعيا مواكبا لتطور المجتمع الفكري والاجتماعي والعقلي.

المطلب الثاني

ميلاد الزهد اللفظي

لم تتكامل صورة الزهد حتى نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الذي قوي فيه أمر الزهد فكثر المتكلمون به الداعين إليه، ولعل الدافع الأساسي وراء ذلك انتشار المجون واللهو والترف والحانات والخمارات وتحول كثير من دور الشعراء إلى مقاصف للخمر والمجون، وكان المسلمون يشاركون في الاحتفال بالأعياد الفارسية والرومية وغيرها، على مدار السنة التي يخرجون فيها للهو والقصف والعبث والمجون[١٠٦]، فظهر مذهب الزهاد لمقاومة هذا التيار الدخيل على الثقافة الإسلامية ونجح هذا المذهب في استمالة السواد الأكبر من الشعب فعمرو المساجد بحلقات الذكر، والوعظ الديني، والوعظ القصصي الذي دفع الناس دفعا إلى رفض المتاع الدنيوي، وسلوك السبيل الواضحة إلى نعيم الآخرة. وقد كثر النساك الذين كانوا يحبون حياة زهد خالصة كلها تبتل، وتعبد، وتقشف، وانقباض عن الاستمتاع بالحياة وملذاتها، وانصراف عن كل نعيم فيها، انتظار لما عند الله من النعيم السرمدي الذي لا يزول، وكانوا يتنافسون في كثرة العبادة ومدى مشقتها.

ومن مشاهير النساك في العصر الأموي، سفيان الثوري[١٠٧]، وداود الطائي[١٠٨]، وعبد الله بن المبارك[١٠٩]، والفضيل بن عياض[١١٠]، وسفيان بن عينية[١١١] الذي كان يقول: «فكر

---

[١٠٦]/ تأريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥، ج٣، ص٦٩.

[١٠٧]/ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني نور بن عبد مناه أبو عبد الله، المولود سنة ٩٧ هـ . ٧١٦م أمير المؤمنين في الحديث كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة ثم هرب من الولاية إلى مكة ثم البصرة، ومات بها مستخفيا من المهدي سنة ١٦١ هـ . ٧٧٨م.

[١٠٨]/ هو داود الطائي، الإمام الفقيه، القدوة الزاهد، له كلام نافع في الزهد من أقواله كفي باليقين زهدا وكفي بالزهد عبادة، وكفى بالعبادة شغلا، مات سنة ١٦٢ هـ.

[١٠٩]/

في رزق غد تكتب لك خطيئة»[112]، أما عبد الواحد بن زيد فقد أنشأ أول رباط وأول صومعة للناسكين في عبادان بالقرب من الكوفة[113]، وفي هذا الرباط يقول أبي العتاهية:

سقى الله عبدان غيثا مجللا — فإن لها فضلا جديدا وأولا

وثبت من فيها مقيما مرابطا — فما أن أرى له عنها متحولا

إذا جئتها لم تلق إلا مكبرا — تخلى عن الدنيا وإلا مهللا

فأكرم بمن فيها على الله نازلا — وأكرم بعبادان دارا ومنزلا

وقد أخذت تقام في هذا العصر رباطات أخرى في أنحاء العالم الإسلامي، وكانت الدولة تقيمها أحيانا، ففي أخبار الفضل بن يحي البرمكي[114] أنه شخص إلى خرسان في سنة ثمان وسبعين ومائة، فبني المساجد والرباطات وبدت تظهر على غالبية النساك بوادر من النزعات الصوفية أمثال إبراهيم بن أدهم[115]، ورابعة العدوية[116]، الجنيد[117]، وآخرون

---

[110]/ الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي، المولود في سمرقند سنة ١٠٥ هـ . ٧٢٣م، شيخ الحرم المكي من أكابر العباد، كان ثقة في الحديث، نشأ بالكوفة ثم سكن مكة وتوفي بها سنة ١٨٧ هـ . ٨٠٣م.

[111]/ سفيان بن عينية بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ . ٧٢٥م، محدث الحرم المكي من الموالي كان حافظ ثقة واسع العلم كبير القدر، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٧ هـ . ٨١٤م.

[112]/ تأريخ الأدب العربي ، تأليف د. شوقي ضيف، ج٣، ص٨٥.

[113]/ المرجع السابق، ص٨٥.

[115]/ إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق، زاهد مشهور كان أبوه من أغنياء بلخ، تفقه ورحل إلى بغداد جال في العراق والشام والحجاز، عمل بالحصاد والطحن، اشترك في حروب المسلمين ضد الروم، كان يتحدث العربية الفصحى بلا لحن، توفي في أحد الحصون الرومية.

[116]/ رابعة العدوية، أم الخير، بنت إسماعيل البصرية، مولاة آل عتيك، الصالحة المستورة، من أعيان عصرها، فضلها مشهور، ماتت سنة خمس وثلاثين ومائة. ودفنت بظاهرة القدس من شرقية، على رأس جبل، يسمى جبل الطور.

[117]/ الجنيد بن محمد، الخراز القواريري أبو القاسم. شيخ وقته، ونسيج وحده. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه ببغداد، صحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله السري، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه علي أبي ثور، وكان يفتي في حلقته -بحضرته- وهو ابن عشرين سنة، توفي سنة ٢٩٧هـ.

كثر، ومما يذكر في هذا المقام أن أوائل المتصوفة كانوا معتدلين ولم يغالوا مغالات المتأخرين، أمثال الحلاج[١١٨].

إذن فالزهد كمدلول لغوي لم ير النور حتى بدايات العصر العباسي الذي ازدهر عند المتكلمين، الذين اهتموا اهتماما بالغا بالجديد والمفيد وأثروا العقول بمختلف الثقافات الأجنبية من الفارسية والهندية والرومية، التي فتحت الآفاق أمام العقلية العربية الفطنة فاسقط العرب تلك الفلسفة على معطياتهم العربية الخالصة فسنوا القوانين ووضعوا الأسس لكل الظواهر الإسلامية القديمة، وعلى رأسها الزهد.

١١٨/ الحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث البيضاوي ثم الواسطي. صحب الجنيد والثوري، واختلف فيه المشايخ، فرده أكثرهم، قتل بسيف الشرع ببغداد سنة تسع وثلاثمائة.

المبحث الثاني
عوامل نشأة الزهد

لكي نحيط بأسباب نشأة الزهد وعواملها لا بد لنا من وقفة عند جميع العوامل التي أسهمت وبشكل واضح في نشأة الزهد، والعوامل ثلاثة هي:

المطلب الأول
العامل السياسي

لعل أخطر الظروف التي مرت بالمسلمين في حياة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، كانت بعد مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فقد وقعت فتن مظلمة حاقت بالمسلمين واختلط وجه الحق فيها عليهم حتى احتربوا واقتتلوا وهدرت دماؤهم الزكية ... وكان ما نشب بين الفرق الإسلامية ـ بعد ذلك ـ محنة عصبية أخري ألمت بالمسلمين، ولذلك آثر بعض المسلمين الانقطاع عن تلك المشكلات والخلافات القائمة وعدم المشاركة فيها بالتجرد عن الدنيا واعتزالها للنجاة من الزيغ والضلال والإثم والسيئات. ويلاحظ الدكتور عبد الحكيم حسان: ازدياد عدد الزهاد الذين انتشروا في البصرة والكوفة والمدينة من سنة ٤٠هـ ـ ١١٠هـ، لتهيبهم من آثار ونتائج هذه الحروب وطمعهم في الجنة، وخوفهم من النار، ويبدو أن هذا أول اتجاه مقصود في حركة الزهد والعزلة[١١٩]، وكان ممن اعتزل الفتنة سعد بن مالك وسعد بن وقاص[١٢٠] وعبد الله بن عمر[١٢١] وعبد الله بن سلام وغيرهم.

---

[١١٩]/ التصوف في الشعر العربي، للدكتور عبد الحكيم حسان، صـ٣٥، ط١.

[١٢٠]/ سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق، الصحابي الأمير، أسلم وعمره ١٧سنة، شهد بدر والفتح والقادسية، توفي بالعقيق ودفن في المدينة.

ولم تنقطع هذه الحروب بعد معركتي الجمل وصفين، وقيام الدولة الأموية، إذ وقعت حروب أخرى بين هذه الدول وبين الأحزاب الأخرى كالشيعة والخوارج والزبيريين، مما أكد اتجاه العزلة عند المسلمين، وحث الآخرين إليه تورعاً وترفعاً عن الخوض في دماء المسلمين، وصيانة وحقنا للأرواح والدماء. ورد عن مرة الهمذاني وكان متعبدا، أنه قال: « لما قتل عثمان بن عفان حمدت الله ألا أكون قد دخلت في شيء من قتله، فصليت مائة ركعة، فلما وقعت الجمل وصفين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك الحروب وزادت مائتي ركعة، فلما كانت النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة، فلما كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة»[١٢٢]، ويبلغ التورع بمن ولى تلك الأحداث ألا يخوض بلسانه فيها، فحين سئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وقاتليه وناصريه قال: « تلك دماء كف الله يدي عنها، فلا أحب أن أغمس لساني فيها»[١٢٣].

ومن ناحية أخرى فقد ساد شطراً كبيراً من حياة الدولة الأموية اضطهاد سياسي على العراق ـ لرفضهم الحكم الأموي ومناصرتهم للإمام علي بن أبي طالب ـ وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الاضطهاد السياسي هي الاتجاه والميل إلى الزهد والعزلة ليأمنوا على أنفسهم من البوائق والملمات. وهذا الاضطهاد زاد بعد قيام الدولة العباسية، التي طاردت العلويين وأنصارهم حتى أجبروا على التخفي والتشرد، فقنع أكثرهم من الحكم ومالوا إلى التنسك والتفرغ للعبادة وزهدوا في الدنيا الفانية.

---

[١٢١]/ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن صحابي من أعز بيتوتات قريش، ولد سنة ١٠ ق هـ ـ ٦١٣م، نشأ في الإسلام وهاجر إلي المدينة مع أبيه شهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ٧٣ هـ ـ ٦٩٢م، أفتى الناس في الإسلام ٦٠ سنة.

[١٢٢]/ البيان والتبيين، ج٣، ص١٢٩.

[١٢٣]/ المرجع السابق، ص١٣٠.

المطلب الثاني

العامل الاجتماعي

أقبلت الدنيا بعد حركة الفتح الإسلامي على المسلمين وغمرتهم الغنائم والثروات فعاشوا في غنى وترف كبيرين، وكان لهذا الغنى آثار سيئة ظهرت بعد أن هدأت حركة الفتح واستقر المسلمون وأخلدوا إلى الدنيا حتى بلغ بالبعض أن عكف على اللهو واللذات والمتع..

وأعانت السياسة الأموية على ذلك بإسباغ العطايا والمنح الجزيلة على أهل الحجاز لانشغالهم عن السياسة والخلافة.

وقام صراع بين نفوس المؤمنين في إيمانهم القوي، وبين مباهج الحياة الدنيا ومفاتنها، وكان الطريق المناسب للنجاة من فتنة الحياة أو زخرفها، الاتجاه إلى العبادة والطاعة والمجاهدة، خاصة وقد شهدوا في مجتمعهم الإسلامي الجديد آثار هذه الأموال والنعم السيئة من اللين والترف إلى التسيب وعدم الالتزام الخلقي عند الآخرين.

وكان لحياة الصحابة أثرها العميق في التابعين حين وجدوا أنفسهم مقصرين تجاه بلاء الصحابة وجهادهم في الإسلام، خاصة وقد بشر الصحابة بالجنة، ونال بعضهم ثواب الهجرة أو الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد كلها أو بعضها، فلا أقل وقد فاتهم هذا الخير الكثير من المشاركة في الفتوحات، من أن يندفعوا نحوا الزهد؛ لأنهم أرادو اللحاق بالصحابة في الفضل؛ مما خلق ذلك السعي المحموم والتشدد على النفس بالمبالغات التعبدية والمجاهدات النفسية التي فرضوها على أنفسهم ولم يجدوها عند الصحابة رضوان الله عليهم جميعا.

فنتج عن ذلك انتشار حركة الزهد واتساعها في جيل التابعين؛ فقد كان ضرار بن مرة يختم القرآن في قبره الذي اتخذه قبل موته بخمس عشر سنة، وكانت زوج مسروق بن الأجدع تقول له: « ويلك يا مسروق أما يعبد الله غيرك، أما خلقت النار إلا لك. فيقول لها: ويحك يا فيروز إن طالب الجنة لا يسأم وهارب النار لا ينام»[١٢٤].

ومن الظواهر الاجتماعية ظهور القصاص، والوعاظ، والداعين إلى الله، وبرزت هذه الظاهرة لانتشار الفتن وضعف الوازع الديني، والقصاص في هذا العصر كثيرون جدا حتى اختص كل مصر من الأمصار بعدد من القصاص والوعاظ الذين انتشروا في المساجد والأسواق وتحلق حولهم السواد الأكبر وتبعوهم فيما يقولون للغتهم البسيطة وقربهم من عقلية العامة فعظم شأنهم، ومن أهم الوعاظ في البصرة، الحسن البصري[١٢٥] وأقواله في الزهد كثيرة منها: «بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا»، ومنها: « إذا سرك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك»[١٢٦]، وكان الحسن البصري من شجعان الزهاد ومما يروى عن شجاعته أن مروان بن المهلب كان بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام، وكان الحسن البصري يثبطهم عن ذلك ويقول: « أيها الناس، ألزموا رحالكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم في ما اكتسبوا براض أنه لم يكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي... »[١٢٧].

١٢٤/ العقد الفريدج٣، ص١٦٨.

١٢٥/ أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٤٢م، ثم انتقل إلى البصرة وتولى القضاء بها، وكان من رواة الحديث وقصاصا واعظا وخطيبا مفوها فصيحا بليغا بارعا في اللغة والفقه، تقيا زاهد واسع العلم، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.

١٢٦/ تأريخ الأدب العربي، تأليف د. عمر فروخ، دار العلم الملاين، ط٨، ج١، ص٦٤٧.

١٢٧/ تأريخ الأدب العربي، تأليف د. عمر فروخ، دار العلم الملاين، ط٨، ج١، ص٦٤٧ - ٦٤٨.

المطلب الثالث

العامل الذاتي

آثرت بعض النفوس الوحدة، وارتضتها، وخشيت في التعامل مع الآخرين أن تقع في محظور أو حرام، فتعففت وتخففت من أثقال الحياة الدنيا وأقبلت على الآخرة كما فعل بعض الصحابة، ولقد خرج البعض من الحواضر إلى المناطق النائية تأثما وحذرا من الوقوع في المعاصي، لكنهم كانوا يسعون لنيل لقمة العيش في بعض يومهم ويخرجون للجهاد إن دعا داعية فهم لا يرفضون المشاركة في ميدان العمل والجهاد، وعلى قمتهم أويس القرني، وكان إذ أمسى لم ير أنه سيصبح وكذلك إذا أصبح.

ومن صور الزهد الرفيعة في هذا العصر ما كان عليه الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز[١٢٨] الذي كان يرتدي أطمارا حين ولي الخلافة، ولم يترك بعد وفاته إلا أربعمائة دينار حين كانت غلته ٤٠ ألف دينار. وتتسع دائرة الزهد من الأفراد إلى الطبقات وأهم هذه الطبقات ثلاثة وهي:

طبقة البكائين:

وهم الذين يبكون أطراف الليل وآناء النهار، ورغم انتشار هذه الطبقة مع انتشار الزهد أي مع نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، إلا أن طبقة البكائين كانت موجودة منذ حياة الرسول صلي الله عليه وسلم والدليل على ذلك قول أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري: «سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ

١٢٨/ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي الخليفة الصالح والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة سنة ٦١ هـ - ٦٨١م، ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ، ومدة خلافته سنتان ونصف، زهد إبان خلافته في كل أمور الدنيا ولبس أخشن الألبسة، وعندما سئل عن سبب ذلك قال ما وليت ولاية إلا نظرت إلى ما هو فوقها حتى وليت الخلافة فلم أجد فوقها إلا الآخرة فطلبتها وتركت الدنيا، ومنع سب عليا في المنابر، وتوفي سنة ١٠١ هـ - ٧٢٠م.

قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[129] نزلت في البكائين وكانوا سبعة معقل بن يسار وصخر بن خنيس وعبد الله بن كعب الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمه وعبد الله بن مغفل، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وهم يبكون»[130]

وكان كبار الصحابة يكثرون من البكاء عند قراءة القرآن سواء في الصلاة أوفي غيرها، وقد اشتهر بالبكاء الخليفة عمر بن الخطاب، الذي كان يبكي عند تلاوة القرآن وخاصة إذ قرأ آية ﴿إِنَمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه﴾[131]، حتى ظهر على خديه خطان أسودان من البكاء،[132] وكان عمرو بن عتبة لا يزال يقرأ بالآية الواحدة ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾،[133]طوال الليل ويبكي حتى يصبح.

طبقة العباد والمجتهدين:

ولا أجد داعيا لذكر أسباب ظهور هذه الطبقة في هذا العصر لأنها نفس الأسباب التى أدت إلى ظهور طبقة البكائين في العصر العباسي، أضف إلى ذلك المنافسة المحمومة بين الأمصار المختلفة على الأفضلية في العبادة والاجتهاد، ومن هذه المفاضلات والمنافسات ما جرى بين الفضيل بن عياض رحمة الله عليه وعبد الله بن المبارك، والفضيل هذا قد جاور وواظب على العبادة بمكة والمدينة فأرسل له عبد الله بن المبارك أبياتا شعرية قال فيها:

---

[129]/ سورة التوبة: ٩٢.

[130]/ تأريخ الأدب العربي ، تأليف د. شوقي ضيف، ج٣، ص٤٤.

[131]/ سورة يوسف: ٨٦.

[132]/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة،ج١، ص٥١.

[133]/ غافر: ١٨.

يـــا عـابـــد الحـــرمين لـــو أبصـــرتنـا	لعلمـــت أنـــك بـالعبـــادة تلعـــب
مـــن كـــان يخضـــب خـــده بدموعـــه	فنحورنـــــا بـــــدمائنا تتخضـــــب
وغبـــار خيـــل الله في أنـــف امـــرئ	ودخـــان نـــار جهـــنم لا يـــذهب
هـــذا كتـــاب الله يحكـــم بيننـــا	لـــيس الشـــهيد كغـــيره لا يكـــذب

وكان من العباد مسرور بن أبي عوانة واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الواسطي عابدا مجتهدا. قال إسماعيل بن زياد أبو يعقوب: «رأيت العباد والمجتهدين ما رأيت أحد قط أصبر على صلاة بالليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبي عوانة كان يصلي الليل والنهار ولا يفتر قال وقدم علينا مرة فقال أخرجوني إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام. وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد قال حدثني الفضيل بن عبد الوهاب حدثني أبو المساور ختن أبي عوانة قال كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل وأطوله اجتهادا فلما قدم علينا مسرور بن أبي عوانة قال لي أبو عوانة يا أبا المساور احتقرت والله نفسي أو قال تصاغرت والله إلى نفسي »[١٣٤]

طبقة القراء:

وهي الطبقة التي اتخذت القرآن مائدة[١٣٥]، دأبت على تعلمه والعمل به، وهذه الطبقة من أكبر الطبقات لأن تعلم القرآن والعمل به من واجب كل مسلم وقد وردت الكثير من الآيات الداعية إلى تدبر القرآن والتفكر في آياته ومعجزاته، كما وردت مئات الأحاديث التي تحث على تعلم القرآن وتعليمه، كقوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١٣٦] وقوله أيضا: «بلغوا عني ولو آية»[١٣٧]، كما أن حلقات الفقهاء

١٣٤/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٧٧، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

١٣٥/ وهذا التشبيه ورد في حديث المصطفي ﷺ "إن هذا القرآن مأدبة الله عز وجل فتعلموا من مأدبته".

١٣٦/ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، دار عالم الكتب، المحقق هشام سمير البخاري، ج١، ص٦.

وجلسات العلماء اتصلت منذ نزول القرآن إلى انهيار الدولة العباسية، وهذه الحلقات يؤمها غالبية المسلمين لتعلق أمور دينهم من سيرة وفقه وحديث وتفسير، وجميع أفرع الدين الإسلامي.

وأرى أن العنصر الذاتي من أهم العناصر وأكبرها أثرا في نمو الزهد، لأنه يعزف على وتر الاستعداد النفسي والقدرة الروحية في نفوس المسلمين على الانصياع وراء التعاليم السماوية ومدى تمسكهم بالدين الإسلامي، ورغم اتفاق الزهاد في المصادر إلا حركة الزهد قد تلونت حسب بيئاتها، ففي المدينة كان الزهد وثيق الصلة بالقرآن والحديث، وظل أهله متمسكين بمذهب السلف.

أما في البصرة فقد مال الزهاد إلى توشية الدين بالعقليات عن طريق القصص والوعظ، لأنهم أتباع مدرسة المتكلمين. وفي الكوفة فقد تأثر الزهاد بالسياسة تأثرا كبيرا ودعوا إلى نصرة الحركات المعارضة، ثم ندموا على خذلانها ومالوا إلى العزلة للعبادة تكفيرا عن هذا الذنب العظيم.

[١٣٧]/ الكشف والبيان، ل أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م،ط١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،ج٤، ص١٤٠.

المبحث الثالث

أنواع الزهد

المطلب الأول

أقسام الزهد

قسَّم السَّلفِ الزُّهدَ إلى أقسام عدة تدور كلها في ثلاثة أفلاك وهي: الزُّهدُ في الشِّركِ، وفي عبادةِ ما عُبِدَ من دُونِ الله، ثمَّ الزُّهدُ في الحرام كلّه من المعاصي، ثمَّ الزُّهدُ في الحلال، وهو أقلُّ أقسام الزهد، فالقسمان الأولان من هذا الزهد، كلاهما واجبٌ، والثَّالث: ليس بواجبٍ، فإنَّ أعظمَ الواجبات: الزُّهد في الشِّركِ، ثم في المعاصي كلِّها. وكان بكرٌ المزنيُّ يدعو لإخوانه فيقول: «زهَّدنا الله وإياكم زُهْدَ مَنْ أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات، فعلم أنَّ الله يراه فتركه»[138]

ويرى سلام بن أبي مطيع الزُّهد على ثلاثة وجوه: **فالوجه الأول**: هو أنْ يُخْلِصَ العمل والقول لله عز وجل، ولا يُريد بشيء منهما الدُّنيا. **والوجه الثاني**: تركُ ما لا يصلُحُ، والعمل بما يصلح. **والوجه الثالث**: أنْ يزهدَ في الحلال وهو تطوُّعٌ[139]. ورأي سلام يوافق ما ذهب إليه السلف، إلاَّ أنَّه جعل الدَّرجةَ الأُولى مِنَ الزُّهدِ؛ الزُّهدَ في الرياء المنافي للإخلاص في القول والعمل، وهو الشِّركُ الأصغر، وفي ذات المعنى قال يحي بن معاذ: «عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقا مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل

---

[138]/ الزهد وصفة الزاهدين، للأمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٤٠ .٤١.

[139]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٧٧، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئا، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته»[١٤٠].

وقال ابن الأعرابي: «الزهد في الرئاسة والمحاسنة والمحادثة والمعاشرة وأول الزهد الزهد في الحرام ثم الزهد في المباح وأعلى مراتب الزهد أن تزهد في الفضول والفضول كل ما لك عنه غنى فكأنك تزهد في كل شيء إلا فيما أمرك الله أو فيما ندبك إليه مما يقربك إليه أو ما لا بد منه وكل ما كان سوى ذلك فهو من الفضول وهو ترك ما لا يعني»[١٤١].

إذن فالزهد قسمان: زهد في الحرام؛ وهو فرض عين، وزهد في الشبهات؛ وهو بحسب مراتب الشبهة، فان قويت التحقت بالواجب، وان كان ضعيفا كان مستحبا. وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ[١٤٢].

وقسم ابن القيم الحنبلي الزهد إلى ثلاثة أقسام: الأول: فرض على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام. والثاني: مستحب، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة. الثالث: زهد الداخلين في هذا الشأن، وهم المشمرون في السير إلى الله، وهو نوعان: الزهد في الدنيا جملة وليس المراد تخليها من اليد، ولا إخراجها وقعوده صفرا، وإنما المراد: إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها ولا يدعها تسكن قلبه وإن كانت في يده، والزهد في النفس،

---

[١٤٠]/ المرجع السابق، ص٧٩.

[١٤١]/ الزهد وصفة الزاهدين، للأمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا، ص٤٠ .٤١.

[١٤٢]/ المرجع السابق، ص٤٠.

وهو أصعب الأقسام وأشقها، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه[١٤٣]. وأيد الغزالي ابن حنبل فيما ذهب إليه من تقسيم الزهد فجعل الزهاد على ثلاثة درجات، أولا: زهد العوام وهو ترك الحرام، وثانيا: زهد الخواص وهو ترك الفضول من الحلال، وثالثا: زهد العارفين وهو كل ما يشغل عن الله[١٤٤].

المطلب الثاني

درجات الزهد

وقسم ابن الجوزى الزهاد على ثلاث درجات فقال:« الدرجة الأولى: من يزهد في الدنيا وهو لها مشته، لكنه يجاهد نفسه، وهذا يسمى المتزهد، وهذه الدرجة هي أول درجات الزهد.أما الدرجة الثانية: فهي أن يزهد طوعا لا يكلف نفسه ذلك، لكنه يرى زهده ويلتفت إليه، فيكاد يعجب بنفسه، ويرى أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه، كما يترك درهما لأخذ درهمين، وهذا أيضا نقصان. والدرجة الثالثة: هي الدرجة العليا وتعنى أن يزهد طوعا، ويزهد في زهده، فلا يرى أنه ترك شيئا، لأنه عرف أن الدنيا ليست بشيء، فيكون كمن ترك خرقة وأخذ جوهرة، ولا يرى ذلك معاوضة، فإن الدنيا بالإضافة إلى نعيم الآخرة أحسن من خرقة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد»[١٤٥].

---

[١٤٣]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٦٨، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦.

[١٤٤]/ التصوف بين الغزالي وابن تيمية، لـ د. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص٩٣.

[١٤٥]/ الزهد للعالم، هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٥٥، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، ١٤٠٦. ١٩٨٦

الفصـــل الثالث

الزهد والمصطلحات التي تؤول ماله

المبحث الأول

الزهد والورع

المطلب الأول

الورع لغة واصطلاحا

الورع في اللغة: التَّحَرُّجُ. وتَوَرَّعَ عن كذا أَي تحرَّج. والوَرِعُ، بكسر الراء: الرجل التقي الْمُتَحَرِّجُ، وهو وَرِعٌ بيِّن الورَعِ، وقد ورِعَ من ذلك يَرِعُ ويَوْرَعُ؛ الأَخيرة عن اللحياني. وفي الحديث: مِلاكُ الدِّينِ الورَعُ؛ الورَعُ في الأَصل:. تحرج وتوقي عن المحارم، ثم استعير للكف عن الحلال المباح[١٤٦]

أما في اصطلاح الأصوليين: فقد عرّفه ابن القيم بقوله: «هو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة»[١٤٧]، وقال ابن تيمية رحمه الله: «هو الإمساك عما قد يضره»[١٤٨]؛ فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر وأيده الحافظ بن حجر فعرف الورع بأنه ترك المشتبه.

وقال السيد الجرجاني رحمه الله تعالى: «هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات»[١٤٩]. وقال العلامة محمد بن علان الصدِّيقي رحمه الله تعالى: «هو عند العلماء

---

[١٤٦]/ القاموس المحيط، لتأليف مجد الدين الفيروز أبادي، ج٣، ص٩٦. وأساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولي، ص١٩٧.

[١٤٧]/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، ص٤١، ج٢.

[١٤٨]/ نفس المرجع والصفحة.

ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس»[150].وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: «الورع كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته»[151].

المطلب الثاني

مراتب الورع

لتوضيح معنى الورع نبين مراتبه التي يسعى طالب الكمال إلى تحقيقها، وهي مرتبتان:

المرتبة الأولى ورع العوام:

هو ترك الشبهات حتى لا يتردى في حمأة المخالفات، إتباعا لإرشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه... »[152].

المرتبة الثانية ورع الخواص:

هو ترك ما يكدر القلب ويجعله في قلق وظلمة. فأهل القلوب يتورعون عما يهجس في قلوبهم من الخواطر، وما يَحيك في صدورهم من الوساوس؛ وقلوبهم الصافية أعظم منبه لهم حين يترددون في أمر أو يشكُّون في حكم؛ كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[153] وبقوله: «البر حسن

---

[149]/ تعريفات السيد، ص١٧٠.

[150]/ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، ج٥، ص٢٦.

[151]/ معراج التشوف، ص٧.

[152]/ رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، ومسلم في كتاب المساقاة عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

[153]/ رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن صحيح.

الخلق، والإثم ما حاك[١٥٤] في نفسك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»[١٥٥]. وفي هذا يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه»[١٥٦].

المرتبة الثالثة ورع خاصة الخاصة:

وهو رفض التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، وسدُّ باب الطمع في غير الله سبحانه وتعالى، وعكوف الهمم على الله سبحانه وتعالى، وعدمُ الركون إلى شيء سواه، وهذا هو ورع العارفين الذين يرون أن كل ما يشغلك عن الله تعالى هو شؤم عليك. قال الشبلي رحمه الله تعالى: «الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله»[١٥٧].

المطلب الثالث

فضل الورع

مما سبق يتضح أن الورع صفة جامعة لكل خصال الكمال، فلقد دخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن وقال: «ما ملاك الدين ؟ فقال: الورع، قال: فما آفة الدين ؟ قال: الطمع. فتعجب الحسن منه، وقال: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة»[١٥٨] قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: «ليس يدل على فهم العبد كثرةُ علمه، ولا مداومتُه على ورده، وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه، والتحرر من رق الطمع، والتحلي بحلية الورع»[١٥٩].

---

[١٥٤]/ حاك: أي جال وتردد.

[١٥٥]/ رواه مسلم في كتاب البر والصلة عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

[١٥٦]/ الرسالة القشيرية، ص٥٤.

[١٥٧]/ الرسالة القشيرية، ص٥٤.

[١٥٨]/ الرسالة القشيرية، ص٥٤.

[١٥٩]/ معراج التشوف، ص٧.

وليس أدلَّ على منزلة الورع، وأنه أرقى أنواع العبادة من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه، حيث قال: "يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبدَ الناس»[١٦٠]، ولهذا كان الورع سبيلاً لنيل المنح الإلهية الكبرى، كما قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «من لم ينظر في الدقيق من الورع، لم يصل إلى الجليل من العطاء».

ولأهمية الورع، ورفعة منزلته، وعلو شأنه، وعظيم أثره، أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، سنورد هنا بعضها:

أولا: عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»[١٦١].

ثانيا: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[١٦٢]

ثالثا: وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مَنْ كنَّ فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خُلُقٌ يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وحِلم يردُّ به جهل الجاهل»[١٦٣]

رابعا: عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد تمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»[١٦٤]

١٦٠/ رواه ابن ماجة عن أبي هريرة في كتاب الزهد ـ باب الورع والتقوى ـ بإسناد حسن.

١٦١/ رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن غريب.

١٦٢/ رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد حسن.

١٦٣/ رواه البزار كما في الترغيب والترهيب.

١٦٤/ رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة.

خامسا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه.فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كخْ كخْ، ارمِ بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة، أو أنَّا لا تحل لنا الصدقة»[١٦٥]

سادسا: روي أن الصدِّيق رضي الله عنه أكل طعاماً أتاه به غلامه، ثم أخبره الغلام أن فيه شبهة، فما وسع الصدِّيق رضي الله عنه إلا أن أدخل يده في فمه، فقاء كل شيء في بطنه [١٦٦]، وكان يقول: «كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام»[١٦٧].

سابعا: حُملَ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم، فقبض على مشامِّه وقال: «إنما يُنتفعُ من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين»[١٦٨]
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «اشتريت إبلاً، وسقتها إلى الحمى، فلما سمنت؛ قدمت بها، فدخل عمر رضي الله عنه السوق فرأى إبلاً سِماناً.فقال: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الله بن عمر. فجعل يقول: يا عبد الله! بخ بخ... ابنَ أمير المؤمنين وقال: ما هذه الإبل ؟! قلت: إبل أنضاء "هزيلة" اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون.فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين»[١٦٩].

تاسعا: كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه غلام يأتيه بقمقم من ماء مسخَّن يتوضأ منه، فقال للغلام يوماً: «أتذهب بهذا القمقم إلى مطبخ المسلمين فتجعله عنده

١٦٥/ رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة.

١٦٦/ أخرجه البخاري في صحيحه باب أيام الجاهلية.

١٦٧/ الرسالة القشيرية، ص٥٣.

١٦٨/ الرسالة القشيرية ص٥٣.

١٦٩/ الرياض النضرة، ج٢، ص٤٧.

حتى يسخن، ثم تأتي به ؟ قال: نعم، أصلحك الله. قال: أفسدته علينا. قال: فأمر مزاحماً أن يغلي ذلك القمقم، ثم ينظر ما يدخل فيه من الحطب، ثم يحسب تلك الأيام التي كان يغليه فيها، فيجعله حطباً في المطبخ»[١٧٠].

وفي هذا الباب مسألة مهمة جداً وهي قضية العلم، لأنه لا يمكن التورُّع بدون علم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلاماً مهماً في هذا؛ ألا وهو: "تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرَّين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع الواجبات ويفعل المحرمات ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً- فيأتي مثلاً جيش من المسلمين أميره لا يمكن تغييره وعنده فسق وهو في جهاد يقاتل الكفرة فجاء أحدهم فقال أنا أتورع أن أجاهد وراء هذا الفاسق، ماذا سيحصل؟؛ يجتاح العدو البلد وتقع الهزيمة في المسلمين. وأحدهم مات أبوه وعنده أموال مشبوهة وعليه ديون فلما جاء الناس يطالبون حقوقهم فقال الابن: أنا أتورّع أن أقضي ديون أبي من الشبهة فهذا الورع فاسد وهذا الإنسان جاهل، فالجهل إذاً يجعل بعض الناس يتركون واجبات بزعم الورع-، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة- غير مكفّرة- أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع"، ومن القواعد في الورع ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: «الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهدٌ ولا ورع ، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع»[١٧١]، وقال رحمه الله أيضاً:

---

[١٧٠]/ سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم، ص٣٧.

[١٧١]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، ص٤٩٥، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.

«أما الورع فإنه الإمساك عما يضر- عن المحرمات- أو قد يضر-الشبهات-، فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر فإنه من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، وأما الورع عما لا مضرة فيه أو فيه مضرة مرجوحة لما تقترن به من جلب منفعة راجحة أو دفع مضرة أخرى راجحة فجهلٌ وظلمٌ وذلك يتضمن ثلاثة أقسام لا يُتَورَّع عنها: المنافع المكافئة والراجحة والخالصة، كالمباح المحض أو المستحب أو الواجب ، فإن الورع عنها ضلالة»[١٧٢] .

فالخلاصة أن الورع منه دقائق لا تليق بأي أحد، بل ينكر على من تورع فيها إذا كان من أولئك الفسقة أو المتساهلين ، وعلى أية حال فإن الورع هو من العبادات العظيمة وملاك الدين الورع، والفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم له أجره العظيم يوم الدين ، والإنسان ينبغي أن يضع نفسه في الموضع الصحيح في مسألة الورع كما قال الأوزاعي: «كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يقتدي بنا خشيت أن لا يسعنا التبسُّم»[١٧٣].وهذا الورع يُتَعَلَّم، كما قال الضحّاك بن عثمان رحمه الله: «أدركت الناس وهم يتعلمون الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام»[١٧٤]، والإنسان إذا تورّع لن يعدم الحلال ولا يظن أنه سيضيق على نفسه ضيقاً لا مخرج منه فإنه يلتمس الورع الشرعي مثلما تقدم.

---

[١٧٢]/ الزهد الكبير، ألفه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسرو جردي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ). حققه د. تقي الدين الندوي، ط١، بدار القلم بالكويت، ج١، ص٢٥

[١٧٣]/ أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، ص٤٩٥، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.

[١٧٤]/ تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت وراجعه د. أحمد ناجي القبسي و د. محمد مصطفى حلمي، ط١، صـ٣٨٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠م.

المبحث الثاني

الزهد والتصوف

المطلب الأول

نشأة التصوف

نشأ التصوف أول ما نشأ بالبصرة، وأول من بني ديره التصوف بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد من أصحاب الحسن البصري رحمه الله[١٧٥]. وقد تميز عباد البصرة آنذاك بالمبالغة في التعبد، وظهرت فيهم مظاهر جديدة لم تكن مألوفة من قبل، فكان منهم من يسقط مغشيا عليه عند سماع القرآن، ومنهم من يخر ميتا، فافترق الناس إزاء هذه الظاهرة بين منكر ومادح، وكان من المنكرين عليهم جمع من الصحابة كأسماء بنت أبي بكر[١٧٦] وعبد الله بن الزبير[١٧٧] رضي الله عنهم، إذ لم تكن تلك المظاهر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وهم الأعظم خوفا والأشد وجلا من الله سبحانه .

١٧٥/ أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٤٢م، ثم انتقل إلى البصرة وتولى القضاء بها، وكان من رواة الحديث وقصاصا واعظا وخطيبا مفوها فصيحا بليغا بارعا في اللغة والفقه، تقيا زاهدا واسع العلم، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.

١٧٦/ أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش.صحابية، من الفضليات، آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير، تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله، ثم طلقها الزبير فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل، فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة، وهي وابنها وأبوها وجدها من الصحابة. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها، وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر، وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله مشهور. عاشت مائة سنة وهي محتفظة بعقلها، وسميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنبي (ﷺ) طعاماً حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام.لها ٥٦ حديثاً.

١٧٧/

ورأى الإمام ابن تيمية أن حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من ضبط نفوسهم عند سماع القرآن أكمل من حال من جاء بعدهم، ولكنه - رحمه الله - لا يذهب إلى الإنكار على من ظهر منه شيء من ذلك إذا كان لا يستطيع دفعه، فقال رحمه الله تعالى : «والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وإن كان حال الثابت أكمل منه " .

المطلب الثاني

معنى التصوف وأصل نسبته

التصوف لغة: هو النسك أو ادعاوه[١٧٨]، وقد اختلف العرب في معنى التصوف فجعلوه على ثلاثة أوجِه: الوجه الأول: وهم من ينسبون التصوف إلى آل صوفان وهم بطن من بطون العرب كانُوا يَخْدُمونَ الكعبةَ وَيَتَنَسَكُونَ، فنُسِبَتْ إليهم الصُّوفِيّةَ، تَشْبيهاً بهم في التَّنَسُّكِ والتَّعَبُّدِ، والوجه الثاني: من نسب التصوف إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ، والوجه الثالث: من نسب التصوف إلى الصُّوفِ الذي هو لِباسُ العُبّادِ، وأَهْلِ الصَّوامِعِ. والأَخيرُ هو المَشْهورُ[١٧٩]، أما الوجه الرابع: فهو نسبة التصوف إلى الصفاء الروحي[١٨٠]، ويرى الباحث أن هذا الوجه غريب، وأيا كان أصل النسبة فإن اللفظ قد صار علما على طائفة بعينها، فاستغني بشهرته عن أصل نسبته.

التصوف اصطلاحا:

١٧٨/ تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفي١٢٠٥م، اعتنى به الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، المجلد الرابع، الطبعة الأولي، ص٢٢٢.

١٧٩/ أنظر المرجع السابق، ص٢٢٢.

١٨٠/ المصطلح والمفهوم، ل الشيخ عبد المحمود الحفيان، ط،١سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، مشيخة الطريقة السمانية، ص٧٦ ـ ٧٨.

لقد كثر الاختلاف حول معنى التصوف الاصطلاحي لذلك أوردت نماذج من هذه التعاريف لمقابلتها، وأول هذه التعاريف قول ابن خلدون[181] في مقدمة «العبر وديوان المبتدأ والخبر» عن التصوف: «هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة وللعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة »[182].

المطلب الثالث

مآخذ الصوفيـة

ربما بدأت الصوفية كمجموعة اتخذت الزهد شعارها، وتصفية القلوب دثارها، مع صحة الاعتقاد وسلامة العمل في الجملة، إلا أنه قد دخل في مسمى الصوفية فرق وطوائف متعددة، لم يكن الجامع بينها إلا التحلي بالزهد والاهتمام بأحوال القلوب سواء أكان على وجه الصدق أم كان على وجه الادعاء والتظاهر أمام الخلق، أما العقائد فقد تفرقت بهم السبل فيها، ولا سيما بين جيل الصوفية الأوائل من أمثال إبراهيم بن أدهم، والجنيد، وبشر الحافي، وبين المتأخرين من أمثال الحلاج وابن عربي والفارابي وابن سبعين وغيرهم، وعليه فمن الخطأ بمكان إطلاق الأحكام التعميمية على الصوفية بعامة، لاتحادهم في الاسم مع اختلافهم الجوهري في كثير من العقائد والأفكار، فالعبرة بالمقاصد

[181]/ هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، نزيل القاهرة وقاضي المالكية بها، توفي سنة ٨٠٨هـ.

[182]/ المقدمة لابن خلدون

والمعاني لا بالألفاظ والمباني. وسنعرض من خلال هذا البحث الموجز شيئاً من عقائد بعض الصوفية المتأخرين، ونذيل في نهاية البحث بتعليق نبين ما لها وما عليها، فمن عقائدهم:

١. القول بالحلول: وهي بدعة كفرية أخذها من أخذها عن كفار الهند، ومعناها عندهم أن الله حالٌّ في مخلوقاته فلا انفصال بين الخالق والمخلوق، وليس في الوجود إلا الله، وهذا ما يسمى بوحدة الوجود.

٢. الغلو في الصالحين وفي مقدمتهم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، حيث يعتقد الغالون من الصوفية أن النبي صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وأن الخلق ما خلق إلا لأجله ومن نوره، ويقل منسوب الغلو عند بعضهم فيرى أن النبي صلى الله عليه وسلم بشراً رسولا، إلا أنهم يستغيثون به طالبين المدد والعون ولا يستغاث إلا بالله جل جلاله كاشف الضر ورافعه. ومن أوجه الغلو عند الصوفية كذلك الغلو في صالحيهم، حتى وجد في بعضهم من يعبد شيخه فيسجد له ويدعوه، وربما قال بعضهم كل رزق لا يرزقنيه شيخي فلا أريده ونحو هذه الأقوال، وربما غلا بعضهم في نفسه واغتر بها، حتى روي عن بعضهم قوله: "خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله "، ويلقبون قادتهم ومعلميهم بالأقطاب والأوتاد، ويجعلون لهم تصريف الكون أرضه وسماءه، في منطق يجمع بين الجهل والسخف وقلة العقل والدين.

٣. تقسيم الدين إلى شريعة تلزم العامة، وحقيقة تلزم الخاصة، فالشريعة هي ما يسمونه العلم الظاهر، والحقيقة هي ما يدعونه العلم الباطن، فالعلم الظاهر والذي يمثل الشريعة معلوم المصدر وهو الكتاب والسنة، أما علم الحقيقة، علم الباطن فهذا يدعي الصوفية أنهم يأخذونه عن الحي الذي لا يموت، فيقول أحدهم : حدثني قلبي عن ربي، وذهب بعضهم إلى القول بأنه يأخذ عن ملك الإلهام، كما تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم علومه عن ملك الوحي، وزعم بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من يخبرهم بما يتوجب عليهم من عبادة وذكر،

وأنهم يلتقون بالأنبياء ويسألونهم عن قصصهم، وقال آخر إذا طالبوني بعلم الورق، برزت عليهم بعلم الخرق.

وقال أبو حامد الغزالي في بيان هذا المسلك: "اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم، ويخلو بنفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه، ولا يكتب حديثا ولا غيره، ولا يزال يقول : "الله الله الله" إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ »[١٨٣]

٤. بناؤهم العبادة على المحبة فقط، فلا يعبدون الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته، وقد قال بعض السلف:" من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري - أي من الخوارج - ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد »[١٨٤] وهذه بعض أفكار وعقائد بعض الصوفية ولا سيما المتأخرين منهم.

---

[١٨٣]/ موسوعة نظرات التصوف الإسلامي المصطلح والمفهوم، ل الشيخ عبد المحمود الحفيان ابن الشيخ الجيلي، ط١، مشيخة الطريقة السمانية بـ طابت مصلحة المطبوعات، ص١٤١.

[١٨٤]/ نفس المرجع والصفحة.

المطلب الرابع

أسماء بعض الطرق الصوفية

أولا الطريقة التيجانية: وتنسب لأحمد بن محمد بن مختار التيجاني، ولد سنة ١١٥٠هـ بقرية بني تيجين من قرى البربر ، ومن مزاعمه أنه خاتم الأولياء فلا ولي بعده، وأنه الغوث الأكبر .

ثانيا الطريقة الشاذلية: وتنسب إلى أبي الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة ببلاد المغرب، قال الإمام الذهبي في ترجمته في العبر: " الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية.

ثالثا الطريقة السنوسية: حركة سلفية صوفية إصلاحية، تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فاهتمت بجانب تصحيح العقائد، والاهتمام بتزكية النفس وإصلاح القلوب، أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢هـ وانتشر خيرها وعم نورها أرجاء عديدة من العالم الإسلامي، منها ليبيا ومصر والسودان والصومال والجزائر حتى وصلت إلى أرخبيل الملايو. وهذه الحركة أو الجماعة مثال للتصوف الإسلامي الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات، من أشهر رجالاتها الشهيد البطل المجاهد أسد القيروان عمر المختار.

رابعا الطريقة الختمية: طريقة صوفية أسسها محمد عثمان المرغني المحجوب ويلقب بالختم، أي خاتم الأولياء ولد سنة ١٢٠٨هـ / ١٨٣٨م، وأول ما ظهرت الختمية بمكة والطائف، وانتشرت منهما إلى مصر والسودان واريتريا، وتلتقي عقائدها مع كثير من عقائد فرق المتصوفة الآخرين كالغلو في النبي صلى الله عليه وسلم، والغلو في شيوخهم.

إذن عندما نتحدث عن الزهد والتصوف لا بد لنا من وقفة متأنية فالزهد كمدرسة دينية يحتوي على آلاف الإيجابيات مع شيء من السلبيات وهذا أمر لا تخلو منه مدرسة، ولذلك أصبح لدينا نوعان من الصوفية، الصوفية الحقة كما سماها ابن تيمية وهي التي ارتكزت على إيجابيات الزهد، وهذا النوع قليل جدا أما النوع الثاني من المتصوفة فلم يأخذ سوى سلبيات الزهد وبني عليها ثم غلا فيها غلوا جاوز الحد، لذلك لا بد من الفصل بينهما فصلا كاملا، لتباينهما في كل شيء، أما من قال فقد أخطأ خطأ بينا، وأن كان لهذا الخطأ ما يبرره من ترك نوعي المتصوفة للدنيا وطلب الآخرة بادئ ذي بدء أمثال الحسن البصري، وغيره من المتصوفة الذين اشتهروا بالزهد، ومراعاة أحوال القلوب، حتى أصبحوا مضرب المثل في ذلك، في حين لم يعرف البعض الآخر من التصوف سوى لبس الخرق والتظاهر بالمسكنة، فضلا عن خروج الكثير منهم عن السنة بكثرة ما أحدثوا من البدع في العقائد والعبادات، فليست الصوفية سواء وليس رجالها سواء، والبصير العاقل من لم يضع الجميع في سلة واحدة لاتحاد الاسم مع أن المعنى مختلف، فما أحوج القلوب اليوم في زمن الجفاف المادي إلى نسمات الروح وهبات الإيمان لتتغذى بها، وفي ذكر الصالحين نعم العون على ذلك، ولم يكثر الجدل عن مآخذ الصوفية إلا بعد اضمحلال النوع الأول وانتشار الثاني الذي حادت فيه عن الجادة وخرجت على جميع أسس الزهد، وأصبحت تيارا جديدا بعيدا كل البعد عن المفهوم الإسلامي للزهد، النابع من الفهم الصحيح للدين وقضاياه.

المبحث الثالث

الزهد والرهبانية

المطلب الأول

الرَّهْبانِيّةُ لغة واصطلاحا

الرهبانية في اللغة هي مصدر للراهب والرَّاهِبُ: المُتَعَبِّـدُ في الصَّـوْمعةِ، والجمـع الرُّهْبانُ. وتَرَهَّب الرجل إذا صار راهِباً يَخْشَى اللّـه. وأَصـلُ الرَّهْبانِيَّـة مـن الرَّهْبـةِ، ثـم صارت اسماً لِما فَضَل عن المقدارِ وأَفْرَطَ فيه[١٨٥]؛ وفي التنزيـل العزيـز: ﴿ثُـمَّ قَفَّيْنَـا عَلَـى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١٨٦]، قال أَبو إِسـحق في تفسـير هـذه الآية: « تحتمل ضَرْبَيْن: أَحدهما أَن يكون المعنى في قوله: (ورَهْبانِيَّةً ابْتَـدَعُوها) وابتـدعوا رهبانية ابتدعوها، كما تقول رأَيتُ زيداً وعمراً أَكرمته؛ قال: ويكون (ما كتبناهـا علـيهم) معناه لم تُكتب عليهم البَتَّةَ. ويكون (إِلا ابتغـاءَ رِضـوان اللّـه) بـدلاً مـن الهـاءِ والأَلـف، فيكون المعنى: ما كَتَبْنا عليهم إِلا ابتغاءَ رِضوانِ اللّه. وابتغاءُ رِضوانِ اللّه، إِتباع ما أَمَرَ به، فهذا، واللّه أَعلم، وجه؛ وفيه وجه آخر: ابتدعوها، جاءَ في التفسير أَنهم كانوا يَـرَوْن مـن ملوكهم ما لا يَصْبِرُون عليه، فاتخذوا أَسراباً وصَوامِعَ وابتدعوا ذلك، فلما أَلزموا أَنفسهم

---

[١٨٥]/ القاموس المحيط، تأليف مجد الدين الفيروز أبادي، المجلد الأول، ص٢٩٨، دار الحديث القاهرة. ولسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي، ص٢٠٣، بيروت دار الكتب العلمية.

[١٨٦]/ سورة الحديد، ٢٧.

ذلك التَّطَوُّعَ، ودَخَلُوا فيه، لَزِمَهم تمامُه، كما أَن الإِنسانَ إذا جعل على نفسِه صَوْماً، لم يُفْتَرَضْ عليه، لزمه أَن يُتِمه»[187].

الرهبانية في الاصطلاح:

لم أجد لها معنى واضحا مقنعا إلا ما ذكره الأب إدمون خشان في قوله: «لو رجعنا قليلاً إلى اللغات القديمة التي كانت سائدة آن انطلاقة الحياة الرهبانية، لوجدنا في اللغة اليونانية، مثلاً، كلمة "موناخوس=MONAXOS" تعني متوحد (MON٠=واحد)، كذلك في اللغة السريانية: "يحيديو" تعني أيضاً متوحد، أي الذي يعيش وحيداً. انطلاقاً من هذا التعريف اللغوي، نلاحظ المفارقة بين ما يرسمه الكتاب المقدس وبين الراهب، فالكتاب المقدس وعبر صفحاته الأولى، وفي حديثه عن الإنسان، يقول: "ذكراً وأنثى خلقهما..." وجعل الله في كيان الرجل والمرأة انجذاباً الواحد نحو الآخر، وها الراهب يعيش وحيداً. ماذا وراء هذا؟ إذن الراهب هو رجل الأبعاد، أي من يرى الحياة الثانية بعين الإيمان ويعشها مسبقاً على هذه الأرض، "فهناك لا يزوجون ولا يتزوجون،... لا رجل ولا امرأة"... إنها الحياة الثانية، وهذا ما يعيشه الراهب الآن. من هنا جاءت التسمية العربية: راهب، أي من رهب الآخرة وعاش في العالم وكأنه ليس من هذا العالم. وكلمة عالم لا تعني البشر، الإنسان الآخر، ولكنها تعني ما عناه القديس يوحنا "لا تحبوا العالم وما في العالم، فكل ما في العالم من شهوة العين وشهوة الجسد وفخر الحياة..." هذا المفهوم الإنجيلي المسيحي لكلمة عالم، وهذا ما يرهبه الراهب، أي العيش بحسب الجسد وخسارة الحياة الأبدية، لهذا انسحب الراهب من العالم وضجيجه وصخبه ومتطلباته ليكون وحيداً

---

[187]/ انظر لسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي، ص٢٥٣.

مع الوحيد[188]، وليكون بالأكثر على مثال الوحيد، مسيحاً يسعى لخلاص العالم. وهذا بعض ما تتضمنه كلمة راهب من معان... انطلاقاً من هذا، نفهم معنى كلمات القديس شربل "كونوا رهبان في قلب العالم"، أي أنتم العائشين في قلب العالم ارهبوا الخطيئة، خافوا الآخرة، مثلكم مثل الراهب»[189].

المطلب الثاني

موقف الإسلام من الرهبانية

قد كان طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم هموا بالرهبانية فأنزل الله تعالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[190]، وثبت في الصحيحين أن نفرا من أصحاب النبي قال أحدهم: «أما أنا فأصوم لا أفطر وقال آخر أما أنا فأقوم لا أنام وقال آخر أما أنا فلا أتزوج النساء وقال آخر أما أنا فلا آكل اللحم .. فقام النبي خطيبا فقال ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»[191].

وفي صحيح البخاري أن النبي رأى رجلا قائما في الشمس فقال: «ما هذا قالوا: هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»[192]، وثبت في صحيح مسلم عن النبي أنه كان يقول: «في خطبته خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الأمور محدثاتها

---

[188]/ الوحيد اسم من أسماء يسوع المسيح في بعض كتبهم.

[189]/ انظر محاضرات الأب إدمون خشان.

[190]/ سورة المائدة، الآية ٨٧.

وكل بدعة ضلالة وفي السنن عن العرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة .. »[١٩٣]، قال الترمذي حديث حسن صحيح .. وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلالة وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى.

وفسر هذا الحديث: «لا رَهْبانِيَّةَ في الإِسلام»[١٩٤]، بقوله: « هي كالاخْتِصاءِ واعْتِناقِ السَّلاسِلِ وما أَشبه ذلك، مما كانت الرَّهابِنَةُ تَتَكَلَّفُه، وقد وضعها اللّه، عز وجل، عن أُمة محمد، صلى اللّه عليه وسلم. قال ابن الأَثير: هي من رَهْبَنةِ النصارى»[١٩٥]. فقد كانوا يَتَرَهَّبُون بالتَّخَلي من أَشْغالِ الدنيا، وتَرْكِ مَلاذِّها، والزُّهْدِ فيها، والعُزلةِ عن أَهلِها، وتَعَهُّدِ مَشاقِّها، حتى إِنَّ منهم مَن كان يَخْصِي نَفْسَه ويَضَعُ السِّلسلةَ في عُنقه وغير ذلك من أَنواع التعذيب، فنفاها النبيُّ، صلى اللّه عليه وسلم، عن الإِسلام، ونهى المسلمين عنها. وفي الحديث: «عليكم بالجهاد فإِنه رَهْبانِيَّة أُمتي»[١٩٦]؛ يُريد أَنَّ الرُّهْبانَ، وإِن تركوا الدنيا وزَهِدُوا فيها، وتَخَلَّوْا عنها، فلا تَرْكَ ولا زُهْدَ ولا تَخَلِّيَ أَكثرُ من بذل النفس في سبيل اللّه؛ وكما أَنه ليس عند النصارى عَمَلٌ أَفضلُ من التَّرَهُّب، ففي الإِسلام لا عَمَلَ أَفضلُ من الجهاد؛ ولهذا قال: «ذِرْوة سَنامُ الإِسلام الجِهادُ في سبيل اللّه»[١٩٧].

---

[١٩٦]/ انظر لسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي، ص٢٥٥.

[١٩٧]/نفس المرجع والصفحة .

المبحث الرابع
الزهد والتزكية
المطلب الأول
التزكية لغة واصطلاحا

من زكا الشيء يزكو إذا طهر وصفا وصلح شأنه[198]، والزَّكاةُ: الصلاحُ. ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أَي زاكٍ من قوم أَتْقياء أَزْكِياء، وقد زَكا زَكاء وزُكُوّاً وزَكِيَ وتَزَكَّى، وزَكَّاه الله، وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً: مدَحها. وفي خبر زينبَ: كان اسمُها بَرَّةَ فغَّيره وقال تُزَكِّي نفسَها. وزَكَّى الرجل نفسَه إذا وصفها وأَثنى عليها[199].

أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة التزكية في العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وحَناناً من لَدُنَّا وزَكاةً﴾[200]، فسرها ابن الأَنْباري فقال معناه وفعلنا ذلك رحمةً لأَبويه وتَزْكِيةً له. وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[201]، وقال أيضا: ﴿قد أفلح من تزكى﴾[202]، وفسرها قتادة وابن عيينة وغيرهما فقالوا: «قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال وقال الفراء والزجاج قد أفلحت نفس زكاها الله وقد خابت نفس دساها الله وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس وهو منقطع .... أما اللفظ فقوله من زكاها اسم موصول ولا بد فيه من عائد على من فإذا قيل قد أفلح الشخص الذي زكاها

---

[198]/ أساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولي، ص١٩٧.

[199]/ القاموس المحيط، لتأليف مجد الدين الفيروز أبادي، المجلد الأول، ص٢٩٨، دار الحديث القاهرة. ولسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي، ص٢٠٣، بيروت دار الكتب العلمية.

[200]/ سورة مريم، ١٣.

[201]/ سورة الشمس، ٩.

[202]/ سورة الأعلى، ١٤.

كان ضمير الشخص في زكاها يعود على من هذا وجه الكلام الـذي لا ريـب في صـحته كما يقال قد أفلح من اتقى الله وقد أفلح من أطاع ربه وأما إذا كان المعنى قـد أفلـح مـن زكاه الله لم يبق في الجملة ضمير»[٢٠٣]

التزكية في الاصطلاح:

قد جاء المعنى الاصطلاحي لتزكية النفوس على أساس المعنى اللغوي، فتزكية النفس شاملة لأمرين، الأول: هو تطهيرها من الأدران والأوساخ، لأن التزكي هو التطهر من كل رجس ودنس. والثاني: هو تنميتها بزيادتها بالأوصاف

المطلب الثاني

أهمية التـزكية

إن تزكية النفس مهمة للإنسان جداً، وتأتي أهميتها من عدة أوجه: الوجه الأول، أن الله سبحانه وتعالى أقسم في كتابه أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه، وعلى خسران من أهمل ذلك، فقال: ﴿وَالشَّمْسِ﴾[٢٠٤]، هذا القسم الأول: ﴿وَضُحَاهَا﴾[٢٠٥]، هذا القسم الثاني: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾[٢٠٦]، هذا القسم الثالث: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾[٢٠٧]، هذا القسم الرابع: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[٢٠٨]، القسم الخامس: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾[٢٠٩]، القسم السادس:

٢٠٣/ أساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولي، صـ١٩٧.

٢٠٤/ سورة الشمس، ١.

٢٠٥/ سورة الشمس، ١.

٢٠٦ / سورة الشمس،٢.

٢٠٧ / سورة الشمس، ٣.

٢٠٨ / سورة الشمس، ٤.

٢٠٩ / سورة الشمس، ٥.

﴿وَمَا بَنَاهَا﴾[٢١٠]، القسم السابع: ﴿وَالأَرْضِ﴾[٢١١]، القسم الثامن: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾[٢١٢]، القسم التاسع: ﴿وَنَفْسٍ﴾[٢١٣]، هذا القسم العاشر: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾[٢١٤]، هذا القسم الحادي عشر، فهذه أحد عشر قسماً متوالية من ربنا سبحانه وتعالى الذي يصدقه عباده دون قسم، ولكنه أقسم للتأكيد أحد عشر قسماً على النتيجة وهي قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢١٥]، الفلاح فلاح الحال في الدنيا والآخرة، (من زكاها) أي: من زكى نفسه، وهذا يدلنا على أهمية هذه التزكية. الوجه الثاني من أوجه أهمية التزكية: أن الإنسان محب للكمال، وهو قد بدأ بالضعف عند النشأة الأولى، ثم لا يزال يتدرج في الازدياد حتى يصير إلى حد الكمال فيبدأ حينئذ بالنقص والتراجع، والوجه الثالث: هو أن التزكية هي طريق الجنة، كما قال الله سبحانه وتعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٢١٦]، فهي شرط إذاً لدخول الجنة.

---

[٢١٠] / سورة الشمس، ٥.

[٢١١] / سورة الشمس، ٦.

[٢١٢]/ سورة الشمس، ٦.

[٢١٣] / سورة الشمس، ٧.

[٢١٤]/ سورة الشمس، ٧.

[٢١٥]/ سورة الشمس، ٩.١٠.

[٢١٦]/ سورة النازعات، ٤٠ .٤١.

المطلب الثالث

أقسام تزكية النفس

تنقسم تزكية النفس إلى قسمين رئيسين هما: التحليه، والتخلية. فالتخلية: يقصد بها تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة. وأما التحليه: فهي ملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منها. فالأخلاق الرذيلة مثل: الشرك والرياء، والعجب، والكبر، والبغض والحسد، والشح والبخل، والغضب، والحرص على الدنيا وحبها لذاتها وإيثارها على الآخرة، والفضولية وعدم الجد في الحياة....، وأما الأخلاق الفاضلة فكالتوحيد والإخلاص والصبر، والتوكل والإنابة، والتوبة، والشكر، والخوف والرجاء، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والشفقة عليهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونفعهم بقدر المستطاع، وعدم تغيير قلوبهم بما ليس بلازم شرعاً... .

إذن فلا بد للإنسان أن يتعرف على الأخلاق الذميمة وعلى أسبابها ويعلم أنها موجودة لديه حتى يمكنه التخلص منها فإن من لم يشعر بالمرض ويتعرف على أسبابه لا يمكنه علاجه، ولكي يستطيع الإنسان الانتصار على نفسه ينبغي لـه أن يضع أسساً للتعامل معها في ثلاث محاور:

١/ الإنصاف منها، وعدم تبرئتها فقد كان صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه وهو المعصوم المسدد بالوحي.

٢/ ترك الانتصاف لها من الغير بأخذ الثأر لها والانتصار لها، فإنها ظلومة جهولة، وإذا كانت هي المظلومة فقد قال الله عز وجل "ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور". وقال سبحانه وتعالى : "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي...".

٣/ اتهامها دائماً، فإنه إذا لم يتهمها الإنسان أغوته وقادته إلى التهلكة، فأنت مخير في الوجهة التي ترتضيها لنفسك، فإذا سرت وراءها وأطلقت لها الزمام سارت بك إلى أسفل سافلين، وإن قدتها أنت وطمحت بها إلى المراتب العالية انقادت لك وراء ذلك، فهي كالطفل تماماً كما يقول البصيري[٢١٧]:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم[٢١٨]

فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت لـه واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت تأبياً ونفوراً عنه، أما الذي لا يعالج نفسه هذا العلاج ولا يجتهد في مجاهدتها عما تهوى وتحب، فإنه إذا دعاها إلى العبادة نفرت، وإذا رأت أنه سيحملها على طاعة من الطاعات شردت، مثل الدابة تماماً، فالدابة إما أن تكون مطيعة وإما أن تكون شروداً حروناً، وكذلك النفس إذا عودها الإنسان على ترك هذه الأخلاق الذميمة كانت كالدابة المطيعة المنقادة، يحمل عليها ما شاء وتسير به حيث شاء، أما إذا تعودت على هذه الأخلاق الذميمة وأرخى لها الحبل على الغارب فإنها تكون شروداً حرونا إذا احتاج إليها لم يستطع إمساكها، وإذا أحست بأي حمل سيحمله عليها نفرت منه، فلا بد من مراقبة هذه النفس ومتابعتها، وليختبر متى استعدادها للأوامر وانصياعها للخير باستمرار: فإن الذي إذا سمع النداء حي على الصلاة حي على الفلاح أخذه النعاس وبحث عن الوسادة نفسه ما زالت مريضة لم تنقد له بعد، والذي ينام على فراشه إذا تعار من الليل لم يستطع أن ينتصر على نفسه فيستيقظ ويذكر الله ويتوضأ ويصلي حتى تحل عنه عقد الشيطان، نفسه ما زالت مريضة تحتاج إلى علاج، والذي لا تطاوعه نفسه إذا أراد صوم النفل أو إنفاق المال أو أراد أي

٢١٧/ شرف الدين البوصيري محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله. شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمّه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون.ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ووفاته بالإسكندرية له (ديوان شعر -ط)، وأشهر شعره البردة مطلعها: "أمن تذكّر جيران بذي سلمْ"، شرحها وعارضها الكثيرون، والهمزية ومطلعها: "كيف ترقى رقيك الأنبياء"، وعارض (بانت سعاد) بقصيدة مطلعها إلى متى أنت باللذات مشغول.

٢١٨/

عمل خير لا تطاوعه نفسه ما زالت مصابة بمرض عضال مخوف لا بد من علاجه قبل فوات الأوان، فلا بد أن يضع الإنسان نفسه في قفص الاتهام وأن يحملها على العزائم وإلا قادته هي إلى المهالك ومهاوي الردى.

المطلب الرابع

كيفية التزكية وثمارها

للوصول إلى تزكية النفس ينبغي اعتماد الوسائل الآتية:

١. التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[٢١٩]، إذ تهوي به الشياطين وتعصف به وتصده عن طاعة ربه ومولاه.

٢. فعل الطاعات وترك المحرمات والصبر على ذلك كله: ففي الطاعات نور القلب وانشراح الصدر وهمة الجوارح وفي المحرم ظلمة القلب وضيق الصدر وكسل الجوارح وعجزها، كقول الشاعر:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ وقد يورثُ الذلَّ إدمانها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانها

٣. طلب العلم الشرعي على يد أهله العارفين بعيوب النفس وتزكيتها وفق نهج الأنبياء يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "وتزكيةُ النفوس أصعبُ من علاج الأبدان وأشدَّ، فمن زكَّى نفسه بالرياضةِ والمجاهدة والخلوةِ التي لم يجيءَ بها الرسل، فهو كالمريضِ الذي يعالجُ نفسَه برأيه، فالرسلُ أطباءُ القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم والتسليم لهم".

٢١٩/ سورة الحج: ٣١.

٤. محاسبتها ومجاهدتها للتغلب على الهوى والشيطان والدنيا؛ قال ميمونُ بنُ مهران رحمه الله تعالى: (لا يكونُ الرجلُ من المتقين حتى يحاسبَ نفسَه أشدَّ من محاسبةِ شريكهِ، حتى يعلمَ من أين مطعمُه، ومن أين ملبسُه، ومن أين مشربُه أمِنْ حلالٍ ذلك أم من حرام)[٢٢٠].

٥. الصحبة النافعة التي تعين على تربية النفس وتزكيتها والبعد عن كل ما يضرها ويهلكها قال علي رضي الله عنه:

كـــــم مـــــن جاهـــــل أردى	**حليمـــــاً حـــــين آخـــــاه**
يقـــــاس المـــــرء بـــــالمرء	**إذا مـــــا المـــــرء ماشـــــاه**

ثمار تزكية النفس:

١. الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة؛ "فلا يصلح لِمُلك الآخرة ونعيمها ولا القرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهراً بطول التزكية والتطهير قال الله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[٢٢١].

٢. راحة البال وسكينة القلب وطمأنينته وانشراح الصدر وسعته: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ}[٢٢٢]، {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}[٢٢٣].

---

[٢٢٠]/ الزهد للعالم هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ، ج١، صـ٣١، طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، سنة (١٤٠٦. ١٩٨٦).

[٢٢١]/ سورة الشمس، ٩.١٠.

[٢٢٢]/ سورة الفتح، ٤.

[٢٢٣]/ سورةالأنعام،١٢٥.

٣. الثبات على الدين والطاعة: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ}[٢٢٤]، فكلما قويت النفس وتهيأت بالذكر والاستغفار والتوبة والإنابة كلما كانت أقدر بإذن الله على تجاوز العقبات والتغلب على الصعوبات فتثبت ولا تتزحزح.

---

[٢٢٤]/ سورة إبراهيم:٢٧.

الفصل الرابع
الزهاد عبر العصور
المبحث الأول
الزهاد في العصر الجاهلي
المطلب الأول
زهد الجاهليين

الزهد نزعة وشعرا أقدم من العصر العباسي بكثير ففي الجاهلية كان ثمة زهد ونوع من التنسك...، ويستدل دكتور زكي مبارك على ذلك بلفظ الديان والرباني ويعنيان المتنسك في الدين واللفظتان عرفتا في الجاهلية[٢٢٥]، ويرى الباحث أن المتنسكين الذين عرفوا في الجاهلية هم أنفسهم الزهاد الذين عرفوا في الإسلام مع بعض التهذيب والتشذيب والتشبع بالروح الإسلامية كما جرى في قيم جاهلية كثيرة، نذكر منها إقراء الضيف، وإجارة الخائف، ومن أهم مظاهر التنسك في الجاهلية صيام الأبد الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، بقوله: «لا صام من صام الأبد»[٢٢٦]، وهذا النهى النصي هو أكبر دليل على انتشار صيام الأبد عند المتنسكين من الجاهليين، ولبس المسوح والصوف، والدليل على ذلك ما رواه المبارك على لسان عبد الله بن شداد الذي قال: «أربعة من كن فيه بريء من الكبر: من اعتقل البعير وركب الحمار، ولبس الصوف

---

[٢٢٥]/ انظر التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، ط١، القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٣٨م، ج١، ص٥٣.

وأجاب دعوة الرجل الدون»[٢٢٧]، ومما يدعم هذا القول تلك الأبيات المشهورة التي وجدت مكتوبة على دير هند:

إن بني المنذر عام انقضوا — بحيث شاد البيعة راهب
تـــــنفح بالمســـــك ذفـــــاريهم — وعنـــــبر يقطبـــــه القاطـــــب
والقـــــز والكتـــــان أثـــــوابهم — لم يجـــب الصـــوف لهـــم جائـــب

المطلب الثاني

شعراء الزهد

ومن شعراء الزهد المشهورين بالتنسك في الجاهلية ورقة بن نوفل[٢٢٨]، وورقة هذا هو: «أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان»[٢٢٩]، وهو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين. وفي حديث ابتداء الوحي روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، رجع إلى خديجة وفؤاده يرتجف فأخبرها فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟

فأخبره الرسول خبر ما رأى.

٢٢٧/ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، ط١، القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٣٨م، ج١، ص٥٣.

٢٢٨/ ورقة بن نوفل بن أسد عبد العُزّى من قريش، حكيم جاهلي اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني.أدرك أوائل عصر النبوة،
ولورقة شعر سلك فيه مسالك الحكماء وفي المؤرخين من يعده من الصحابة.

٢٢٩/ الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين و أ. بكر عباس، بيروت دار صادر ، الطبعة الثانية، ج٣، ص٩٦٥.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتنى فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك[٢٣٠]، وله إنتاج أدبي جميل نذكر منه ما نظمه عن المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه:

يـــا للرجـــال وصــــرفِ الـــدهرِ والقَـــدرِ ... ومـــا لشـــيءٍ قضـــاهُ اللَـــه مـــن غـــيرِ

جـــاءت خديجـــة تـــدعوني لأخبرَهـــا ... ومالَنـــا بخفـــيٍّ الغيـــب مـــن خبَـــر

جـــــاءت لتســــألني عنــــه لأخبرَهــــا ... أمــــراً أراه ســــيأتي النــــاسَ مــــن أخــــر

فخبَّـــرتني بـــأمر قـــد سمعـــتُ بـــهِ ... فيمـا مضـى مـن قـديم الـدهر والعُصُـر

بـــــأن أحمـــــدَ يأتيـــــهِ فيُخــــبرُه ... جبريـــلُ أنـــك مبعـــوثٌ إلى البشـــرِ

فقلـــت عـــل الـــذي تـــرجينَ يُنجـــزُهُ ... لــكِ الإلــهُ فرجّــي الخــير وانتظــري

وأرســـليه إلينـــا كـــي نســـائلهُ ... عـن أمـره مـا يـرى في النـوم والسـهر

فقـــال حـــين أتانـــا منطقـــاً عجبـــاً ... يقِــفُّ منــه أعــالي الجلــدِ والشــعر

إنـــي رأيـــت أمـــينَ اللَـــهِ واجهـــني ... في صـورة أكملـت مـن أعظـم الصـور

ثـــم اســـتمر فكـــان الخـــوف يـــذعرني ... ممـــا يســـلم مـــا حـــولي مـــن الشـــجر

فقلـــت ظـــني ومـــا أدري أيصـــدقني ... أن ســوف يبعــثُ يتلــو منــزلَ الســور

وســـوف أبليـــك إن أعلنـــتَ دعـــوتهم ... مـــن الجهـــاد بـــلا مـــن ولا كـــدَرِ

---

[٢٣٠] / المرجع السابق.

وقال في الزهد والدعوة إلى التنسك:

لَقــد نصــحتُ لأقــوامٍ وقلــتُ لهــم أنـــا النــذير فـــلا يغــروكم أحـــدُ
لا تعبــــدنّ إلهــــاً غــــير خــــالقكم فــإن دعَــوكم فقولــوا بيننَــا حــدَدُ

ســبحان ذي العــرشِ ســبحاناً يعادلــهُ ربُّ البريَّـــة فـــرد واحـــدٌ صـــمدُ

سُــبحانهُ ثــم سُــبحاناً يعــودُ لـــهُ وقبــلُ ســبَّحَه الجــوديُّ والجمـــدُ

مُســخَّرٌ كــلُّ مــن تحــت الســماء لــهُ لا ينبغــي أن ينــاوي مُلكــهُ أحــدَ

لا شـــيء ممـــا تـــرى إلا بشاشـــتهُ يَبقــى الإلــه ويفنــى المــالُ والولــدُ

لم تُغــن هرمــز يومــاً مــن خزائنــه والخلـدَ قـد حاولـت عـادٌ فمـا خلَـدوا

ولا ســليمانَ إذ دانَ الشــعوبُ لـــهُ الإنــسُ والجــنُّ تجــري بينهــا البُــرُدُ

أيــنَ الملــوكُ الــتي دانــت لعزَّتهــا مــن كــل أوب إليهــا وافــدٌ يفــد

حــوضٌ هنالــك مــورودٌ بــلا كــذبٍ لا بــدَّ مــن وردِه يومــاً كمــا وردوا

عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة، وكان من الدعاة لعبادة الله ونبذ عبادة الأصنام فقد كان يقول للقرشين: «يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء

وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغير الله !!! والله ما أعلم على ظهر الأرض أحد على دين إبراهيم غيري»[٢٣١]، وله شعر روحي يغاير النزعة المادية التي طغت على أشعار الجاهلين كقوله:

إنَّ لِلــــدَهرِ صَـــولَةً فَاحـــذَرنها	لا تَنـــامَنَّ قَـــد أَمِنـــتَ الـــدُهورا
قَـــد يَبيـــتُ الفَتـــى صَـحيحاً فَيَـردى	بَعـــدَ مـــا كـــانَ آمِنـــاً مَســـرورا
إِنَّمـــا الـــدَهرُ لَـــيِّنٌ وَنَطـــوحٌ	يَـــترُكُ العَظـــمَ واهِيـــاً مَكســـورا
فَسَـــلِ النـــاسَ أَيـــنَ آلُ قُبَـــيسٍ	طَحطَـــحَ الـــدَهرُ قَـــبلَهُم ســـابورا
خَطَفَتـــــهُ مَنِيَّـــــةٌ فَتَـــــرَدّى	وَهـــوَ فِي المُلـــكِ يَأمُـــلُ الـــتعمير
وَبَنـــو الأَصـــفَرِ المُلـــوكُ كَـــذا لَـــم	يَـــترُكِ الـــدَهرُ مِـــنهُمُ مَـــذكورا
لا أرى المَـــوتَ يَســـبِقُ المَـــوتَ شَـــيءٌ	نَغَّـــصَ المَـــوتُ ذا الغِنـــى والفقـــير

لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم). يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات من أجمل زهدياته قوله:

وَمـــا النـــاسُ إِلّـــا كَالـــدِيارِ وَأَهلُهـــا	بِهـــا يَـــومَ حَلّوهـــا وَغَـــدواً بَلاقِـــعُ
وَمـــا المَـــرءُ إِلّـــا كَالشِـــهابِ وَضَـــوئِهِ	يَحـــورُ رَمـــاداً بَعـــدَ إِذ هُـــوَ ســـاطِعُ

[٢٣١]/ الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين و أ. بكر عباس، بيروت دار صادر، الطبعة الثانية، ج٤، ص٩٧٠.

وَمــا البِــرُّ إِلّــا مُضــمَراتٌ مِــنَ التُقــى	وَمــا المــالُ إِلّــا مُعمَــراتٌ وَدائِــعُ
وَمــا المــالُ والأهلــون إِلّــا وَديعَــةٌ	وَلا بُــدَّ يَومــاً أَن تُــرَدَّ الوَدائِــعُ
أَلَــيسَ وَرائــي إِن تَراخَــت مَنِــيَّتِي	لُــزومُ العَصــا تُحنــى عَلَيهــا الأَصــابِعُ
أُخَبِّــرُ أَخبــارَ القُــرونِ الَّــتي مَضَــت	أَدِبُّ كَــأَنّي كُلَّمــا قُمــتُ راكِــعُ
فَأَصــبَحتُ مِثــلَ السَــيفِ غَيَّــرَ جَفنَــهُ	تَقــادُمُ عَهــدَ القَــينِ وَالنَصــلُ قــاطِعُ
تُبَكّــي عَلــى إِثــرِ الشَــبابِ الَّــذي مَضــى	أَلا إِنَّ أَخــدانَ الشَــبابِ الرَعــارِعُ
أَتَجــزَعُ مِمّــا أَحــدَثَ الــدَهرُ بِــالفَتى	وَأَيُّ كَــريمٍ لَــم تُصِــبهُ القَــوارِعُ
لَعَمــرُكَ مــا تَــدري الضَــوارِبُ بِالحَصــى	وَلا زاجِــراتُ الطَــيرِ مــا اللَــهُ صــانِعُ
سَــلوهُنَّ إِن كَــذَّبتُموني مَتــى الفَتــى	يَــذوقُ المَنــايَ أَو مَتــى الغَيــثُ واقِــعُ

ومنهم أمية بن عبد الله أبي الصلت بـن أبـي ربيعـة بـن عـوف الثقفـي، شـاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسـلام وكـان مطلعـاً علـى الكتـب القديمة، يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثـان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد صلى الله عليه وسلم، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنه على الحق. قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظـر في أمـره، ثـم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينـة وحـدثت وقعـة بـدر وعاد أمية يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقـام في الطـائف

إلى أن مات.أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهّم، فكتبتها قريش[٢٣٢]. ومن أجمل زهدياته قوله:

فَسُــبحانَ مَــن لا يَعــرِفُ الخَلــقُ قَــدرَهُ — وَمَــن هــوَ فــوقَ العَــرشِ فَــردٌ مُوَحَّــدُ
وَمَــــن لَـــم تُنازِعـــهُ الخَلائِـــقُ مُلكَـــهُ — وَإِن لَـــم تُفَـــرِّدهُ العِبـــادُ فَمُفـــرَدُ
مَليـــكُ السَـــمَواتِ الشِـــدادِ وَأَرضِـــها — وَلَـــيسَ بِشَـــيءٍ عَـــن قَضـــاهُ تَـــأَوُّدُ
هــو اللَــهُ بــاري الخَلــقِ وَالخَلــقُ كُلُّهُــم — إِمـــاءٌ لَـــهُ طَوعـــاً جَميعـــاً وَأَعبُـــدُ
وَتَفنـــى وَلا يَبقـــى سِـــوى الواحِـــدُ الَـــذي — يُميـــتُ وَيُحيـــي دائِبـــاً لَـــيسَ يُهمَـــدُ
تُسَـــبِّحُهُ الطَـــيرُ الجَـــوانِحُ في الخفـــي — وإِذ هِـــيَ في جَـــوِّ السَـــماءِ تُصَـــعِّدُ
وَمِــن خَــوفِ رَبّــي سَــبَّحَ الرَعــدُ فَوقَنــا — وَسَـــبَّحَهُ الأَشـــجارُ وَالـــوَحشُ أُبَّـــدُ
وَحـــالاتِ دُنيـــا لا تَـــدومُ لِأَهلِهـــا — فَبَينـــا الفَتـــى فيهـــا مَهيـــبٌ مُسَـــوَّدُ
إِذا انقلبـــت عَنـــهُ وَزالَ نَعيمُهـــا — وَأَصـــبَح مِـــن تُـــربِ القُبـــورِ يوَسَّـــدُ
فَكُــن خائِفــاً لِلمَــوتِ وَالبَعــثِ بَعــدَهُ — وَلا تَــكُ مِمَّــن غَــرَّهُ اليَــومُ أَو غَــدُ
فإِنَّـــكَ في دُنيـــا غُـــرورٍ لِأَهلـــها — وَفيهـــا عَـــدوٌّ كاشِـــحُ الصَـــدرِ يُوقِـــدُ
وســـاكِنُ أَقطـــارِ الرَقيـــعِ عَلـــى الهَـــوا — وَمِــن دونِ عِلــمِ الغَيــبِ كُــلٌّ مُسَــهَّدُ
وَلَـــولا وِثـــاقُ اللَـــهِ ضَـــلَّ ضَـــلالُنا — وَقَـــد سَـــرَّنا أَنّـــا نُتَـــلُّ فَنـــوأَدُ
تَـــرى فيـــهِ أَخبـــارَ القُـــرونِ الَـــتي مَضَـــت — وَأَخبـــارَ غَيـــبٍ في القيامَـــةِ تَنجُـــدُ
وَلَـــيسَ بِهـــا إِلا الـــرَقيمُ مُجـــاوِراً — وَصَـــيدَهُمُ وَالقَـــومُ في الكَهـــفِ هُمَّـــدُ

---

[٢٣٢]/ انظر التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، لد. زكي مبارك، ط١، ج١، ص٥٣.

إذن فالزهد بمعنى الحث على ترك الدنيا لأنها فانية والحديث عن الموت وتذكر الأمم التي سادت ثم بادت موجود عند معظم الشعراء الجاهليين بدرجات متفاوتة فمنهم من يذكره في البيت أو البيتين، ومنهم من يذكره عقب وفات قريب أو إحساس بدنو الأجل كقول طرفة ين العبد[٢٣٣] في نهاية معلقته:

أرى المَوتَ يَعتامُ الكِرامَ وَيَصطَفي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرى العَيشَ كَنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ وَما تَنقُصِ الأَيّامُ وَالدَهرُ يَنفَدِ

لَعَمرُكَ إِنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتى لَكَالطِوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ

ومنهم من كثر في شعره حتى عرف به وهؤلاء يسمون بالمتنسكين أو الربانين، وهم مناط بحثنا لإثبات وجود شيء من أسس الزهد في الجاهلية.

٢٣٣/ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءاً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد.اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً.

المبحث الثاني
في العصـــر الأموي
المطلب الأول

الزهد في صدر الإسلام

عندما نتحدث عن عصر صدر الإسلام لا نكاد نجد أشعارا زهديه، ليس لعدم وجود الزهد بل لعدم وجود الشعر من ذلك ما روي الشعبي قال: «كتب عمر رضي الله عنه إلى المغيرة ابن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء أهل مصرك من الشعر ما قالوا في الإسلام فأرسل إلى الأغلب العجلى فقال له: أنشدني فقال:

لقد سألت هيناً موجوداً   أرجزاً تريد أم قصيدا

ثم أرسل إلى لبيد بن ربيعة فقال: أنشدني قال: إن شئت أن أنشدك ما قد عُفي عنه يعني شعر الجاهلية فقال: أنشدني مما قلت في الإسلام فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم جاء بها فقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر»[٢٣٤]، وقد نحى هذا النحو معظم الشعراء فتضاءل الإنتاج الشعري بل كاد يتوقف تماما.

كان الزهد موجوداً في تصـرفات الصـحابة ومجاهـداتهم لأهـوائهم وشـهواتهم، وكثرة تعبدهم، أمثال عثمان بن عفان الذي كان يختـم القـرآن في ركعـة[٢٣٥]، وأمثـال أبـو الدرداء الذي كان يقضي نهاره صائما وليله قائما، «فأخبرت أم الدرداء سلمان الفارسـي بحال أبو الدرداء بقولها: إن أخاك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فلم يزل به سـلمان حتى أجبره على الإفطار ونهاه عن قيام كل الليل وقال له: إن لنفسك عليك حقا ولربك

---

[٢٣٤]/ الأغاني ل ابي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين و أ. بكر عباس، بيروت دار صادر ط٢ ٢٠٠٤، ج٤، ص٦٥.

[٢٣٥]/ أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه، ط٢، مكتبة القاهرة، ج٣، ص٣٥٥.

عليك حقا ولضيفك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حقا حقه»[٢٣٦]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: « والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لاعتمد على كبدي من الجوع»[٢٣٧].

المطلب الثاني

الزهد في العصر الأموي

إن كان ثمة بداية زهديه شعرية ففي العصر الأموي، لأن الشعر الزهدي وجد أرضه الخصبة في هذا العصر الذي انفرط فيه عقد الفتن وتوالى سقوطها على الأمة الإسلامية، ابتداء من مأساة كربلاء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه سنة ٦١هـ، وثورة المختار سنة ٦٦هـ مطالبا بدم الحسين، ثم ثورة ابن الأشعث سنة ٨٢ ـ ٨٤هـ، وقيام دولة الزبيريين وقتالهم مع الأمويين في البيت الحرام ثم مقتل عبد الله بن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق[٢٣٨]، ثم خروج زيد بن علي بن الحسين ومقتله وصلبه عام ١٢٢هـ[٢٣٩]، واستبداد الحكام وتطور المجتمع وجريان المال بأيدي المسلمين والإقبال على الملذات مما حمل فريق من الناس على الفرار من الفتن والدنيا والاعتصام بالدين طلبا للنجاة. وقد كان للحسن البصري دورا كبير في تأسيس مدرسة الزهد والتصوف.

كما أن المسلمين عامة والشعراء خاصة قد تأثروا بالقرآن الكريم لفظا ومعنى مما أدى إلى تطور أساليبهم البلاغية وأغراضهم الشعرية[٢٤٠]، ويرى الدكتور شوقي ضيف أن حياة الزهد والتعبد لم تنفصل عن الحياة الغنية بل أثرت في كثير من جوانبها وطورتها

---

[٢٣٦]/ الترمذي سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ٦٣، ج٤، ص٦٠٨-٦٠٩.

[٢٣٧]/ المسند لإمام أحمد بن حنبل، طبعة بيروت دار صادر، ج٢، ص٥١٥.

[٢٣٨]/ انظر العقد الفريد لابن عبد ربه، ط٢، مكتبة القاهرة، ج٣، ص٣٥١.

[٢٣٩]/ نفس المرجع والصفحة.

[٢٤٠]/ أنظر الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، ، ط١، مكتبة القاهرة،١٩٦٦، ص٨٤.

لذلك يرجع نشأة شعر الزهد إلى العصر الأموي ولا أرى رأيه لكني أقول إن الشعر الزهدي أضحى أوضح في هذا العصر من العصر الجاهلي؛ فقد اعتمد عليه شعراء المذاهب السياسية المتناحرة في كسب قلوب العامة قدر المستطاع لكنه مازال مقطوعات شعرية لا مطولات ولا ديوان كاملا ممن قالوا الشعر الزهدي خالص من السياسة، وعلى رأس هؤلاء أعشى همدان[٢٤١] الذي قال:

وَبَينَما المَرءُ أَمسَ ناعِماً جَذِلاً ... في أَهلِهِ مُعجَباً بِالعَيشِ ذا أَنَقِ

غِرّاً أُتيحَ لَهُ مِن حَينِهِ عَرَضٌ ... فَما تَلَبَّثَ حَتّى ماتَ كَالصَعِقِ

ثُمَّتَ أَضحى ضُحىً مِن غِبِّ ثالِثَةٍ ... مُقَنَّعاً غَيرَ ذي روحٍ وَلا رَمَقِ

يُبكى عَلَيهِ وَأَدنَوهُ لِمُظلِمَةٍ ... تُعلى جَوانِبُها بِالتُربِ وَالفِلَقِ

فَما تَزَوَّدَ مِمّا كانَ يَجمَعُهُ ... إِلّا حَنوطاً وَما واراهُ مِن خِرَقِ

وَغَيرَ نَفحَةِ أَعوادٍ تُشَبُّ ... وَقَلَّ ذَلِكَ مِن زادٍ لِمُنطَلِقِ

أَستَغفِرُ اللَهَ أَعمالي الَّتي سَلَفَت ... مِن عَثرَةٍ إِن يُعاقِبني بِها أَبِقِ

بِأَيِّما بَلدَةٍ كانَت مَنِيَّتُهُ ... إِن لا يَسِر طائِعاً في قَصدِها يُسَقِ

---

[٢٤١]/ أعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني. شاعر اليمانيين، بالكوفة وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

ويقول الحجاج بن يوسف:

إذا كـــان الســـبعون ســـنك لم يكـــن	لـــــدائك إلا أن تمـــــوت طبيبــــا
إن امـــرأً قـــد ســـار ســـبعين حجـــة	إلى منهــــل مــــن ورده لقريــــب

ويقول النابغة الشيباني[٢٤٢]:[٢٤٣]

وَيُزجُرُنـــي الإِســـلامُ وَالشَـــيبُ وَالتُقـــى	وَفي الشَـــيبِ وَالإِســـلامِ لِلمَـــرءِ زاجِـــرُ
وَقُلـــتُ وَقَـــد مَـــرَّت حُتـــوفٌ بِأَهلِهـــا	أَلا لَـــيسَ شَـــيءٌ غَـــيرَ رَبِّـــيَ غـــابِرُ
أَلا أَيُّهـــا الإِنســـانُ هَـــل أَنـــتَ عامِـــلٌ	فَإِنَّـــكَ بَعـــدَ المَـــوتِ لا بُـــدَّ ناشِـــرُ
أَلَـــم تَـــرَ أَنَّ الخَـــيرَ وَالشَـــرَّ فِتنَـــةٌ	ذَخـــائِرُ مَجـــزِيٌّ بِهِـــنَّ ذَخـــائِرُ
وَمَـــن يَعمَـــلِ الخَـــيراتِ أَو يُخـــطِ خاليـــاً	يُجـــازُ بِهـــا أَيّـــامَ تُبلـــى السَـــرائِرُ

إذن كل هذه الأشعار ما هي إلا ومضات زهديه أو تسبيحات روحية في طريق الزهد تدعو الإنسان إلى تقوى الله وتحثه على فعل الخير، وتذكره بالموت وأهواله وما سينتهي إليه الحال في قبره، تزهده في الدنيا ومتاعها الزائل وترغبه في الآخرة وفي ما عند الله تعالى من جنات ونعيم.

[٢٤٢]/ النابِغَة الشيباني هو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس، من بني شيبان. شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي. كان يفد إلى الشام فيمدح الخلفاء من بني أمية، ويجزلون له العطاء. مدح عبد الملك بن مروان وولده من بعده، وله في الوليد مدائح كثيرة، ومات في أيام الوليد بن يزيد.

[٢٤٣]/ عيون الأخبار لابن قتيبة، ج٢، ص٣٢٢.

المصادر والمراجع

الرقم	المرجع
١.	أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية د. رشيد عبد الرحمن مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨م.
٢.	أبي العتاهية أشعاره وأخباره.
٣.	الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، ط١ بيروت ١٩٨٦م.
٤.	إتحاف السادة المتقين للزبيدي.
٥.	الإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٥١م.
٦.	أثر القرآن في الشعر الجزائري.
٧.	أحاديث أم المؤمنين عائشة. أدوار من حياتها، العلامة السيد مرتضى العسكري، الناشر: التوحيد للنشر، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٨.	أحمد بن أبي فنن حياته وما تبقى من شعره جمع وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي بغداد مجلة المجمع العلمي العراقي ، ط١٩٨٤.
٩.	أخبار الشعراء المحدثين،.
١٠.	إحياء علوم الدين، تأليف أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، ط٢ ٢٠٠٤م، دار صادر.
١١.	أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.
١٢.	الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، لإبراهيم رفيدة، ط١، مكتبة القاهرة،١٩٦٦م.
١٣.	أساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولى ، بيروت دار صادر ١٣٩٩ـ ١٩٧٩م. والمعجم الوسيط، الذي أشرف على طباعته

حسن على عطية ومحمد شوقي أمين،الطبعة الثانية.	
أسس النقد الأدبي عند العرب..	١٤.
الإعجاز البياني ومسائل بن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن، القاهرة دائرة المعارف ١٩٧١م.	١٥.
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.	١٦.
الأعلام.	١٧.
الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين و أ. بكر عباس، بيروت دار صادر ، الطبعة الثانية.	١٨.
اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن، سامي مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية العدد ٢٠ – ٢١، سنة ١٩٩١م.	١٩.
الاقتباس من القرآن الكريم، لابي منصور الثعالبي، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٥م.	٢٠.
أنوار الربيع في أنوار البديع ابن معصوم، تحقيق شاكر هادي النجف مطبعة النعمان، ١٩٦٨.	٢١.
أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، للعلامة محمود مصطفى، راجعه وكتب مقدمته د. عبد المنعم خفاجي، الرياض مكتبة المعارف.	٢٢.
الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق جماعة من علماء الأزهر القاهرة (د.ت).	٢٣.
البيان والتبيين.	٢٤.
تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفي١٢٠٥م، اعتنى به الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، المجلد الرابع، الطبعة الأولي.	٢٥.
تاريخ الأدب العربي، د.بلاشير ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة	٢٦.

دمشق ١٩٧٣م.	
تأريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥.	٢٧.
تأريخ الأدب العربي، تأليف د. عمر فروخ، دار العلم الملاين، ط٨.	٢٨.
تاريخ التصوف في الإسلام..	٢٩.
تاريخ دمشق لابن عساكر	٣٠.
التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، ط١، القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٣٨م.	٣١.
التصوف بين الغزالي وابن تيمية، لـ د. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر.	٣٢.
التصوف في الشعر العربي، للدكتور عبد الحكيم حسان ط١.	٣٣.
التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، بيروت دار الشروق ١٩٧٩م.	٣٤.
التعريفات، لأبي الحسن الحسني الجرجاني، تحقيق د.أحمد مطلوب، ط دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م	٣٥.
تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي.	٣٦.
التلخيص للخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة ١٩٣٢م.	٣٧.
تهذيب التقريب.	٣٨.
التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول.	٣٩.
الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، تأليف د. صالح آدم بيلو، ط١سنة ١٤٠٨هـ.	٤٠.
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني حققها وعلق	٤١.

	عليها، محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
٤٢.	جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنئوط، مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى
٤٣.	الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ – ٢٧٩، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر.
٤٤.	الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب.
٤٥.	الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ - ٩١١ هـ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
٤٦.	الجامع الكبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
٤٧.	الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٦٥م.
٤٨.	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، دار عالم الكتب، المحقق هشام سمير البخاري.
٤٩.	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب.
٥٠.	الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى، لد. محمد مصطفى حلمى، دار القلم، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٤، أول نوفمبر ١٩٦٠م.
٥١.	حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين أبوالثناء محمود بن سليمان بن فهد، تحقيق أكرم عثمان بغداد وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م.

٥٢.	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة.
٥٣.	دائرة المعارف الإسلامية في الجزء ١١ من المجلد التاسع.
٥٤.	دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، تونس ١٩٦٦م.
٥٥.	دليل الفالحين شرح رياض الصالحين.
٥٦.	ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة ، مطبعة دار الكتاب.
٥٧.	ديوان أبو دلامة، ط١.
٥٨.	ديوان أبو الطيب المتنبي، دار صادر بيروت، ط١.
٥٩.	ديوان أبي العتاهية .
٦٠.	ديوان الأعشى، دار صادر بيروت، ص٢٨.
٦١.	ديوان أبو العلاء المعري، دار صادر بيروت، ط١، ص١٣٢.
٦٢.	ديوان أبو فراس الحمداني، دار صادر بيروت، ط١.
٦٣.	ديوان أمية بن أبي الصلت، بيروت المطبعة الوطنية ١٩٣٤م.
٦٤.	ديوان أبو نواس، ط٢.
٦٥.	ديوان بشار بن برد، ط١.
٦٦.	ديوان جرير.
٦٧.	ديوان الجعدي.
٦٨.	ديوان حسان بن ثابت، بيروت دار صادر.
٦٩.	ديوان دعبل، بتحقيق محمد يوسف نجم، دار الثقافة ببيروت.

ديوان طرفة بن العبد، بيروت المطبعة الوطنية، ص٢٩.	٧٠.
ديوان العباس بن الأحنف، ط١ .	٧١.
ديوان عبد الله بن المبارك، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط٣ سنة ١٤١٣هـ.	٧٢.
ديوان الفرزدق، ط٢.	٧٣.
ديوان لبيد بن أبي ربيعة، بيروت المطبعة الوطنية ١٩٣٤.	٧٤.
ديوان محمد بن الحازم.	٧٥.
ديوان محمد بن يسير.	٧٦.
ديوان محمد بن كناسة، ط٢.	٧٧.
ديوان محمود الوراق.	٧٨.
ديوان مسلم بن الوليد، ط٢.	٧٩.
ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم.	٨٠.
رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام.	٨١.
الرسالة القشيرية.	٨٢.
الرياض النضرة.	٨٣.
الزهد الكبير، ألفه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ). حققه د. تقي الدين الندوي، ط١، بدار القلم بالكويت.	٨٤.
الزهد للعالم هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، سنة (١٤٠٦. ١٩٨٦).	٨٥.

٨٦.	الزهد وصفة الزاهدين، للإمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا.
٨٧.	زهديات ابي نواس تحقيق د. علي الزبيدي، مطبعة كوستاتسوماس، القاهرة ١٩٥٩م.
٨٨.	سير أعلام النبلاء، للإمام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الحادية عشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، تحقيق مأمون صاغرجي - علي أبو زيد - نذير حمدان - كامل الخراط - صالح السمر.
٨٩.	سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم.
٩٠.	السيرة النبوية لمحمد بن هشام.
٩١.	السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البندري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان جميع الحقوق محفوظة الدار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٩٢.	السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الطبعة : الأولى . ١٣٤٤ هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
٩٣.	شرح تحفة الخليل.
٩٤.	شعب الإيمان، لـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٩٥.	شعر ابن ميادة جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٦٨م.
٩٦.	الشعر والشعراء، لابن قتيبة تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف.
٩٧.	شعر اليزيديين، جمعه وحققه د. محسن غياض النجف مطبعة النعمان ١٩٧٣م :

	(٤٣).
٩٨.	صحيح البخاري.
٩٩.	صحيح الجامع الصغير.
١٠٠.	طبقات الشعراء.
١٠١.	الطبقات الكبرى للشعراني، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده بمصر، ط١ ١٩٥٤.
١٠٢.	العقد الفريد.
١٠٣.	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت لبنان، ط٤، ١٩٧٢.
١٠٤.	عيون الأخبار لابن قتيبة .
١٠٥.	غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.
١٠٦.	الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٢م.
١٠٧.	فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر الفجالة القاهرة ١٩٧٣م.
١٠٨.	القاموس المحيط، تأليف مجد الدين الفيروز أبادي، المجلد الأول، دار الحديث القاهرة.
١٠٩.	القوافي لأبي يعلى عبد الباقي بن عبد الله التنوخي، تحقيق د. عوني عبد الرءوف.
١١٠.	كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق د. علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت المكتبة العصرية ١٩٨٦م.
١١١.	الكشف والبيان، ل أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م،ط١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

١١٢.	لسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي.
١١٣.	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق احمد محمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٩م.
١١٤.	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، المكتبة التجارية مكة المكرمة.
١١٥.	المدخل إلى السنن الكبري للبيهقي .
١١٦.	المحيط في الغة.
١١٧.	المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م).
١١٨.	المسند لإمام أحمد بن حنبل، طبعة بيروت دار صادر.
١١٩.	المصطلح والمفهوم، للشيخ عبد المحمود الحفيان، ط١،سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، مشيخة الطريقة السمانية.
١٢٠.	معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدري، بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م.
١٢١.	المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢٢.	المعجم الأوسط، رواه الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن أحمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين . القاهرة ١٤١٥.
١٢٣.	معجم الشعراء للمرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج دار احياء الكتاب العربي.

١٢٤.	المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٢٥.	معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، تأليف الدكتور يوسف محمد رضا، الطبعة الأولى، بيروت دار الكتب العلمية.
١٢٦.	المعجم الكبير، المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية.
١٢٧.	معجم النقد العربي القديم، د. احمد مطاوب، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة١٩٨٩. حققه
١٢٨.	معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي دمشق، دار الفكر دار الكتاب العربي.
١٢٩.	معراج التشوف.
١٣٠.	من بلاغة القرآن
١٣١.	الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الفقيه إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي المتوفي سنة ٧٩٠ هـ، تحقيق د. محمد الإسكندراني و عدنان درويش، دار الكتاب بيروت، طبع سنة ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨م، ج١.
١٣٢.	موسوعة نظرات التصوف الإسلامي المصطلح والمفهوم، ل الشيخ عبد المحمود الحفيان ابن الشيخ الجيلي، ط١، مشيخة الطريقة السمانية بـ طابت مصلحة المطبوعات.
١٣٣.	موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس مكتبة الانجلو المصرية ط٤، ١٩٧٢م، ص٢٤٦، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، يوسف حسين بكار، مطبعة دار نشر الثقافة بالفجالة، القاهرة،١٩٧٧م.
١٣٤.	ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد احمد الهاشمي، القاهرة ١٩٥١م.
١٣٥.	نزهة الالباء في طبقات الادباء ابو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق د. ابراهيم السامرائي مكتبة الاندلس بغداد ١٩٧٠م .

١٣٦.	نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود.محمد بركات حمدي، دار الفكر للتوزيع والنشر، عمان الأردن، ١٩٨٥.
١٣٧.	الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، ط ١٩٩٧م.
١٣٨.	الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي.
١٣٩.	الورقة لابن الجراح (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الوهاب عزام، عبد الستار احمد فراج دار المعارف مصر ١٩٥٣م.

المحتويات





الحالة الزوجية : متزوجة – أم لطفلتين.

الجنسية : السودان.

الديانة : مسلمة .

التخصص : لغة عربية – نقد وادب .

الوظيفة : باحث .

الدرجة العلمية : دكتوراة.

عنوان العمل مجمع اللغة العربية – شارع الجمهورية الخرطوم .

المؤهلات العلمية :

- بكالوريوس – كلية اللغة العربية - جامعة ام درمان الاسلامية
- الماجستير- كلية اللغة العربيه - جامعة ام درمان الاسلامية
- الدكتوراه- كلية اللغة العربية – جامعة ام درمان الاسلامية



عمان – العبدلي – مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ – خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٥٧٤٧٤٦٠ – ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com


9789957594336

Cover design: Samir Alawneh
079 732 9119

الزهد والمصطلحات التي تؤول مآله

د. زينب السيد فكي السيد محمد نور

